جامعة القدس المفتوحة

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

برنامج ماجستير اللغة العربية وآدابها

نعت المشبه به في القرآن الكريم في ضوء نظرية السياق

إعداد الطالبة: سكينة ياسر محمود خمايسة

الرقم الجامعي : 0330011710025

إشراف : أ. د عمر عتيق

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

من كلية الدراسات العليا والبحث العلمي (جامعة القدس المفتوحة)

في برنامج اللغة العربية وآدابها

السنة الدراسية

2019 -2020

فلسطين

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة الموسومة بـ

نعت المشبه به في القرآن الكريم

أقر بأن مضمون الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء الاقتباسات والإشارات الواردة في الحواشي، وأن الرسالة لم تقدم من قبل للحصول على درجة علمية أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب : **Students name:**

التوقيع : **Signature :**

التاريخ : **Date :**

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (نعت المشبه به في القرآن الكريم في ضوء نظرية السياق) وأجيزت بتاريخ 2020\6\1

أعضاء لجنة المناقشة

1- أ.د عمر عتيق (رئيساً). التوقيع .....

2- د. أحمد بشارات (ممتحناً داخلياً). التوقيع .....

3- أ.د خليل عودة (ممتحناً خارجياً). التوقيع .....

(تفويض)

أنا سكينة ياسر محمود خمايسة ، أفوض جامعة القدس المفتوحة بتزويد المكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص بنسخ من رسالتي عند طلبها، بما يتفق وتعليمات الجامعة.

اسم الطالب : سكينة ياسر محمود خمايسة

التوقيع : .....

التاريخ : 1-6-2020

الإهـــــداء

إلى سيد الأنبياء والمرسلين الذي هدانا إلى هذا الدين

محمد صلى الله علية وسلم .

إلى الذين ضحوا بدمائهم الطاهرة, وسطروا أروع صفحات التضحية والبطولة دفاعا عن كرامتنا وعروبتنا

شهداء فلسطين .

إلى من غمرتني بحبها وعظمتها وحنانها طوال حياتي, ومنحتني الثقة على الدوام, إلى أغلى وأحسن وأعظم أم .

أمي الغالية أمد الله بعمرها .

إلى الغالي الحبيب

أبي العزيز أمد الله بعمره.

إلى من أعيش معه أجمل اللحظات، وأسعد الأوقات، إلى ريحانة حياتي إلى

زوجي الغالي

إلى من تفتحت بين حروفهم الرياحين, وانتشرت من أسمائهم رائحة الياسمين

سارة وهادي

إلى فراشات الربيع الأخضر , وبسمات الفجر الشفافة , ومن تكتمل العين برؤيتهم

إخوتي وأخواتي

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا .

الشكر والتقدير

إن الحمد لله الذي من علي نعمته وأوصلني إلى هذا النجاح.

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي القدير

الدكتور عمر عتيق

فقد كان مربيا فنعم المربي ، ومرشدا ونعم المرشد لما قدمه لي من إشراف

وتوجيه ومتابعة فلكَ مني التقدير الذي تستحقه.

وأشكر جامعة القدس المفتوحة إداريين وأكاديميين .

والحمد لله رب العالمين

نعت المشبه به في القرآن الكريم

إعداد الطالبة : سكينة ياسر محمود خمايسة

إشراف : أ.د: عمر عتيق

ملخص

تهدف الدراسة إلى الكشف عن التجاذب الدلالي بين المشبه به والنعت , وجاءت في ثلاثة فصول , توزع الفصل الأول الموسوم بـ النعت والمشبه به عند النحاة والبلاغين على مبحثين, الأول: النعت بين القاعدة النحوية والرؤية البلاغية, والثاني : التواصل الدلالي بين النعت والمشبه به . و جاء الفصل الثاني معنوناً ب النعت المفرد للمشبه به , وموزعاً على ثلاثة مباحث : الأول : نعت الظواهر الكونية , والثاني : نعت مشاهد العذاب الدنيوي , والثالث: نعت يوم القيامة ومشاهد الجنة والنار , وجاء الفصل الثالث "النعت للمشبه به المركب" موزعا على ثلاثة مباحث : الأول : نعت الحياة الدنيا , والثاني : نعت أعمال المؤمنين , والثالث: نعت أعمال الكافرين . وتوصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج أهمها : الكشف عن الأبعاد البلاغية النحوية لنعت المشبه به في القرآن الكريم, وتأثير دلالة الثنائيات الناجمة عن نعت المشبه به على المتلقي, والتوافق بين البنية المعجمية لنعت المشبه به والسياق الدلالي. واتبعت الباحثة المنهج الأسلوبي اعتمادا على أن نعت المشبه به في القرآن الكريم يشكل ظاهرة أسلوبية لم تُفرد لها دراسة من قبل.

كلمات مفتاحية : النعت , المشبه به , السياق اللغوي ، التواصل الدلالي .

Suspected attribute in the holly Qur'an

Prepared by the student: Sakina Yasser Mahmoud Khamayseh

Supervision: Prof. Omar Ateeq

Abstract

The study aims to reveal the semantic attraction between the suspect and the adjective, and it came in three chapters. The first chapter, tagged with the adjective and the adjective, was distributed among the grammarians and the rhetoric over two subjects, the first: the adjective between the grammatical rule and the rhetorical vision, and the second: the semantic communication between the adjective and the analogous. And the second chapter came with the title of the singular attribute of the suspect, and it is divided into three topics: the first: the cosmic phenomena, and the second: the epithets of worldly torment, and the third: the day of Resurrection and the scenes of Heaven and Hell, The third chapter, "The compound attribute of the suspect", is divided into three topics: the first: the actions of believers, and the second: the acts of the unbelievers, and the third: the life of the world. The study reached a set of results, the most important of which are: the revelation of the grammatical rhetorical dimensions of the suspect in the Holy Qur'an, the effect of the dichotomy of the dichotomies resulting from the suspect's attribute on the recipient, and the compatibility between the lexical structure of the suspect's term and the semantic context. The researcher followed the stylistic approach, depending on the attribute of the suspect in

the Holy Qur'an, which is a stylistic phenomenon not previously studied.

Keywords: adjective, likeness, linguistic context, semantic communication.

المقدمة

الحمد لله الذي فضّلنا بالقرآن على الأمم أجمعين، والصلاة والسلام على النبي المختار الأمين، محمد بن عبد الله، وآله وصحبه الأخيار الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أهمية الدراسة

تضيف الدراسة جوانب بلاغية نحوية في دراسة نعت المشبه به أغفلتها الدراسات البلاغية والنحوية القرآنية، فترصد الدراسة الفضاء النحوي والبلاغي للتشبيه في القرآن الكريم، وتعاين التحولات النحوية والبلاغية لنعت المشبه به للظواهر وفق منظور أسلوبي يدرس النعت للمشبه به وفق الظواهر الكونية ، ومشاهد العذاب الدنيوي، ويوم القيامة، ومشاهد الجنة في القرآن الكريم، وتحرص الدراسة على تفكيك التركيب النعتي للمشبه به في القرآن الكريم وفق أعمال المؤمنين, وأعمال الكافرين, ونعت الحياة الدنيا، وترى الباحثة أن الإجراءات التطبيقية التي ترصد دلالات نعت المشبه به تعزز العلاقة التكاملية بين النحو والبلاغة وفق ما تقتضيه الدراسة الأسلوبية.

سبب اختيار موضوع البحث :

بهرني في أثناء دراستي العليا جمال التشبيه في القرآن الكريم. وجاء اقتراح أ.د عمر عتيق موجها لرغبتي ، ومحددا لقضية البحث التي تنحصر في نعت المشبه به . ووجدت أن الاقتراح يُسهم في توظيف علم النحو في دراسة ظاهرة بلاغية في القرآن الكريم . وازدادت رغبتي في موضوع البحث ؛لأن القرآن الكريم فضاء للدراسة ، كما أن عدم وجود دراسة

متخصصة في موضوع الرسالة شكل تحديا لي انطلاقا من أن موضوع الرسالة العلمية ينبغي أن يكون بصمة للباحث.

الدراسات السابقة

لم تجد الباحثة مرجعا متخصصا بموضوع البحث ، ولهذا استعانت بكتب المفسرين نحو الزمخشري والآلوسي وابن عاشور وسيد قطب وفاضل السامرائي ، وقد حوت كتب التفسير شذرات أسهمت في بيان العلاقة الدلالية بين النعت والمشبه به . وتابعت الباحثة رسائل علمية عدة تضمنت إشارات تخدم موضوع البحث.

ومن أبرز الرسائل العلمية التي حفلت بالتشبيه في القرآن الكريم رسالة موسومة بـ: "أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم"، إعداد الطالبة: ملك حسن عبد الرزّاق بخش بإشراف الدكتور عبد الفتاح لاشين في جامعة أم القرى، في المملكة العربية السعودية عام 1410هـ، وقد حفلت بمعالجة بلاغة التشبيه ، ولكنها لم تعالج نعت المشبه به بالطريقة المنهجية التي اتبعتها الباحثة.

صعوبات إنجاز البحث

تنحصر الصعوبات في غياب الدراسات المتخصصة بموضوع البحث . وكان أداء الباحثة في مسوّدات الفصل الأول –خاصة – متواضعا ، وأعادت الباحثة غير مرة صياغة المضمون ، وأعادت أسلوب العرض في مباحث عدة .وكان لتوجيهات الأستاذ الدكتور المشرف على الرسالة أثر طيب في تعزيز أدائي في البحث . وقد وقفت أمام طريق مسدود غير مرة ، ولكن توجيهات المشرف فتحت آفاقا جديدة في البحث.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة المنهج الأسلوبي لأن نعت المشبه به يشكل ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم . ويعاين المنهج الأسلوبي العلاقة العضوية بين النحو والبلاغة ، وتأثيرها على المتلقي ، وقدرتها على الوصول إلى البنية العميقة للنص القرآني. وترى الباحثة أن نعت المشبه به في القرآن الكريم يشكل ظاهرة أسلوبية مائزة تقتضي توظيف مبادئ الأسلوبية نحو المحورين الأفقي والرأسي اللذين يعللان العلاقة التجاورية بين مكونات النسيج اللغوي لنعت المشبه به ،واختيار لفظة دون غيرها من الألفاظ المناظرة في سياق موضوع البحث.

أسئلة الدراسة:

1- هل توجد علاقة دلالية بين النعت والمشبه به ؟

2- هل يتحقق تواصل دلالي بين النعت والمشبه به والسياق العام للآية ؟

3- هل تدل البنية الصوتية للنعت على جزء من معنى الآية ؟

4- لماذا غابت البدائل اللغوية المتناظرة لألفاظ النعت ؟

5- هل تقدر جملة النعت على رسم صورة المشبه به ؟

6- هل توجد علاقة بين البنية المعجمية للنعت والسياق الدلالي لنعت المشبه به ؟

أهداف الدراسة:

1- رصد التحولات الدلالية للظواهر الكونية الكبرى ومشاهد العذاب ومشاهد الجنة يوم القيامة في سياق نعت المشبه به.

2- الكشف عن الأبعاد البلاغية النحوية للمشبه به في القرآن الكريم.

3- تأثير دلالة الثنائيات على المتلقي .

4- رصد شبكة العلاقات الدلالية بين السياقين الأصغر والأكبر في سياق نعت المشبه به.

5- بيان التأثير النفسي والوجداني لدى المتلقي الناجم عن نعت المشبه به .

6- بيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وما يضيفه من اشراقات دلالية لنعت المشبه به

7- فتح آفاق جديدة في فهم النص القرآني.

مضمون فصول الرسالة

تتوزع الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

جاء الفصل الأول موسوما بـ النعت والمشبه به عند النحاة والبلاغين في مبحثين

المبحث الأول: النعت بين القاعدة النحوية والرؤية البلاغية ، تحدثت فيه عن الفرق بين النعت والصفة، ووظيفة النعت التي تجاوزت ما نص عليه القدماء, وتعدد النعوت, وأنواع نعت المشبه به في القرآن .

والمبحث الثاني: التواصل الدلالي بين النعت والمشبه به الذي ناقش العلاقة العضوية بين النعت والمشبه به , والموقع الإعرابي للمشبه به , والبعد النفسي في نعت المشبه به ,و رؤية في مفهوم التشبيه , والعلاقة التجاورية بين المشبه به والنعت , والعلاقات الدلالية بين

المشبه به والنعت المفرد, و الثنائيات الدلالية بين المشبه به والنعت المركب, والصورة الحسية لنعت المشبه به بين الضيق والاتساع.

عالج الفصل الثاني النعت المفرد للمشبه به، وقسّمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: نعت الظواهر الكونية الذي رصد الظواهر الكونية ومنها: منازل القمر وفلق البحر, مبينة شبكة العلاقة الدلالية بين النعت والمشبه به من حيث نسق التحول من حالة الى حالة ,ونسق النظام الزمني , و نسق التواصل اللغوي بين دلالة لفظي المشبه به والنعت ودلالة أجزاء من السياق الأكبر, والتأثير النفسي والوجداني لدى المتلقي , والإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: نعت مشاهد العذاب الدنيوي، إذ تعددت أنواع العذاب في الحياة الدنيا ، نحو الريح وحجارة السجيل.

المبحث الثالث: نعت يوم القيامة ومشاهد الجنة، الذي عالج البعث والنشور، وصفات الجنة والنار.

اقتصر الفصل الثالث على النعت للمشبه به المركب .وتوزع على ثلاثة مباحث وهي:

والمبحث الأول: نعت الحياة الدنيا , تحدثت عن معنى الحياة الدنيا , والحياة الدنيا في القرآن , ومصير من يتمسك بالحياة الزائلة , وأثر الكلمة الطيبة في النفس الإنسانية معتمدة على تحليل النعت المركب وربط دلالته بالمشبه به والسياق العام للآية.

المبحث الثاني: نعت أعمال المؤمنين من خلال الآيات التي وصفت إنفاق المؤمنين في سبيل الله . وحفل المبحث بتحليل النعت التركيبي للمشبه به ، وبيان التواصل الدلالي بين النعت المركب والمشبه به .

والمبحث الثالث: نعت أعمال الكافرين من خلال الآيات التي صورت إنفاق غير المؤمنين نفاقا ورياء . وحرص المبحث على تفكيك دلالة النعت المركب وربط الدلالة الناجمة بالمشبه به وبالسياق العام للآية.

تمهيد

يعتمد البحث في غير موضع على دور السياق في الكشف عن التواصل الدلالي بين النعت والمشبه به، انطلاقا من أن الكلمة المفردة تكتسب معناها المحدد من موضعها في السياق ، وكذلك جملة النعت يتجلى تناسبها وانسجامها مع المشبه به اعتمادا على السياق الذي يكشف التناغم والتناسب بين النعت والمشبه به ، فالسياق "هو بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينه، وهو ما يسمى بالقرينة الحالية إذ أنه قد يُعبر عن القرينة الحالية بالسياق.([1])"

وتقتضي شبكة العلاقات الدلالية بين النعت والمشبه به من جهة ، وبين النعت وعناصر المشبه من جهة أخرى الاستعانة بعناصر لغوية وأخرى غير لغوية ممثلة بالسياق، "والغرض من التركيز على هذين العنصرين يكمن في التطلع إلى فهم أدق للاشتراك الفعلي لعمليات تقع خارج اللغة الواقعية التي استلزمتها غايات تفسيرية لا محدودة تتجاوز الأطر الظاهرة والنقلة السطحية، وترنو إلى استمرارية التفاعل بين النص ومتلقيه في حركة تحافظ على دينامية النص من جهة وعلى تعدد القراءة التي تنتج نصوصاً خلاقة في الربط والتلقي اللغوي والجمالي من جهة أخرى([2])"

---

[1] . العامري، خليل خلف بشير: السياق وأنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني. جامعة البصرة، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد9، العدد2، 2010، ص40

[2] . لحمادي، فطومة: السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي. جامعة محمد خيضر – بسكرة (الجزائر)، 2008، العدد2، ص2

ويسهم المعنى المعجمي في بيان دلالات النعت والمشبه به وما يحيط بهما من عناصر لغوية وخاصة عناصر صورة المشبه ، ولكن الاكتفاء بالمعنى المعجمي لا يكشف عن جماليات نعت المشبه به ، لأن السياق يضيف دلالات أخرى لا يفصح عنها المعجم مباشرة. وفي السياق يوجد قرائن تعين على اختيار المعنى الواحد من بين معان كثيرة تتردد في المعاجم، ويُفهم من المعنى السياقي أمران يرتبطان ببعضهما البعض فأحدهما يكمل الآخر وهما :

"الأول: أن معنى اللفظ يرتبط بالسياق اللغوي وهو جزء من معنى السياق الذي يرد فيه.

والثاني: أن السياق لا يكون إلا بوجود نصوص, وأن معرفة معناه تقوم على أساس معرفة معاني الألفاظ التي تربطها علاقات قوية ويجمعها بناء متماسك موحد([1])".

نعت المشبه به بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي:

يحتاج الكشف عن التناسب الدلالي بين النعت والمشبه به ، وبين النعت ومكونات السياق الأصغر للآية إلى رصد معاني مادة النعت ومعاني مادة المشبه به ، لأن المعنى المعجمي للمادتين بينهما تماثل أو تقارب دلالي – كما سيتضح في الفصلين الثاني والثالث ، ولكن ينبغي ألا نكتفي بما يفيده المعجم لأن " الوصول إلى البنية العميقة للاختيار اللغوي لا يتم بتتبع المادة اللغوية للفظة ما ولا بملاحظة الانسجام الدلالي بين معاني المادة اللغوية والسياق فحسب، وإنما يحتاج إلى تأمل خاص يفضي إلى استغراق القارئ بالجزئيات

---

[1] . الجنابي، سيروان عبد الزهرة وزميله: جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية النص القرآني أنموذجاً. العدد9، 2008، جامعة الكوفة، ص36

الدلالية"([1]) واتخذت الباحثة مسارين في تتبع دلالات المادة اللغوية للنعت والمشبه به " وفق مستويين، الأول: المستوى الدلالي السطحي وهو دلالة الأطراف النحوية التي تطفو على سطح النص. والثاني: المستوى الدلالي الباطني وهو دلالة الأطراف النحوية التي تكمن في البنية الدلالية للمادة اللغوية ومدى انسجامها مع دلالة السياق" ([2]) وما دام السياق مكوناً من عناصر لغوية، فإن المحلل الأسلوبي مطالب بتفكيك السياق إلى عناصره، ثم اكتشاف العلاقات السطحية والعميقة التي تربط بين تلك العناصر، بهدف النهوض بالقيمة الأسلوبية للظاهرة المدروسة في إطارها السياقي.([3])

تأثير السياق على دلالة العلاقات النحوية:

تبقى العلاقات النحوية خارج الفضاء الدلالي لنعت المشبه به إلا إذا كانت مرتبطة بالسياق ، فلا يكفي القول : إن كلمة (قديم) نعت (العرجون) في قوله تعالى : " وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ "([4]) . ولا يكفي القول إن الجملة الفعلية (أنبتت سبع سنابل) نعت لـ(حبة) في قوله تعالى : " "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلةٍ مائة حبةٍ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم"([5])" ولا مفر من الاحتكام للسياق لبيان التكامل والتواصل الدلالي بين العلاقات النحوية: "ولا تكون

---

[1] . عتيق , عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم . ط1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2010 ، ص 39

[2] .المرجع السابق: ص89

[3]. عتيق ، عمر : دراسة أسلوبية في الشعر الأموي . ط1 ، دار جرير ، الأردن ، عمان ، 2012 ، ص17

[4] . يس : 39

[5] . البقرة: 261

للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم([1])".

إن الوظيفة الدلالية للنعت وظيفة سياقية , بمعنى أن لكل تركيب خصوصيته ودلالته التي هي محصلة تحليل العناصر السياقية المتنوعة المتشابكة , ومن ثم فان تحديد الوظيفة الدلالية أمر مرهون بالسياق بعناصره المتنوعة .([2])

يؤدي تأثير السياق في العلاقات النحوية إلى التلاحم الدلالي بين النعت والمشبه به اللذين يشكلان وحدة عضوية لا يمكن لأي بديل لغوي أن يحل محل النعت أو محل المشبه به ، ولو حاولنا استعمال لفظ بديل لأصبح التركيب بين النعت والمشبه به هجينا عن السياق، لأن العلاقة الدلالية بين النعت والمشبه به تلتحم " كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان؛ فبين كل قطعة وجاراتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة تجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضا واحدا كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية"([3])

---

[1] . عبد اللطيف، محمد حماسة: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي. ط1، دار الشروق، بيروت، 2000، ص98

[2] . خضر , السيد علي : التركيب النعتي في العربية . دراسة في القرآن والشعر , مجلة كلية الآداب , جامعة المنصورة , ع 27, 2000م, ص 66

[3] . محمد ,عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم- عرض تاريخي وتحليل مقارن. ترجمة: محمد عبد العظيم علي. مراجعة: السيد محمد بدوي، دار القلم، الكويت، 1984، ص119.

أنواع السياق:

للسياق نوعان متعارف عليهما عند اللغويين وهما السياق الأكبر، والسياق الأصغر.

الأول: السياق الأكبر: وهو الذي يتنزّل فيه اللفظ بعد الجوار المباشر كالجملة أو الفقرة أو الخطاب جملة، على أن لمصطلح السياق الأكبر في الأسلوبية دلالة نوعية تتمثل في جملة المعطيات التي تحضر القارئ وهو يتلقى النص بموجب مخزونه الثقافي والاجتماعي.

ثانياً: السياق الأصغر: وهو الذي يدل على الجوار المباشر للفظ قبله وبعده([1])"

فالسياق الصغير يُعنى بما يجاور اللفظة مباشرة من ألفاظ أخرى قبلها وما بعدها. أما السياق الأكبر فينظر لما يجاور الجملة من جمل قبلها وبعدها. واعتمدت الباحثة على السياقين الأصغر والأكبر في بيان العلاقة الدلالية بين النعت والمشبه به .

واستعمال الكلمة يحكمه أمران هما:

"الأول: السياق اللغوي نفسه: الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة فالكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية.

الثاني: سياق الموقف: أو سياق الحال عند فيرث وهو نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وسياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعاً كلاماً وكتابة، وهذا السياق يتكون من ثلاثة عناصر هي: 1- شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام، 2- العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي، 3- أثر الحدث اللغوي في المشتركين كالإقناع أو الفرح أو الألم أو الإغراء([2])"

---

[1] . أنظر: المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب. ط3،الدار العربية للكتاب، ص175

[2] . لحمادي، فطومة: السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي. ص8

وهناك أنماط أخرى للسياق :

1- السياق الداخلي: "ويسمى أيضاً السياق اللغوي ويشمل السياق الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي .

2- السياق الخارجي: ويسمى ايضاً السياق غير اللغوي ويشمل سياق المقام، والسياق الاجتماعي، والسياق التاريخي، وسياق الحال، وسياق الموقف([1])"

أنواع السياق في القرآن:

حدد بعض الباحثين أربعة أنواع من السياق ينبغي النظر إليها وفهمها ووعيها قبل البدء بتفسير آيات القرآن الجليل وهذه الأنواع هي:

"1- سياق القرآن: يقصد به مقاصد القرآن الأساسية، والمعاني الكلية التي تسمى بالكليات في القرآن، والأساليب المطردة في القرآن .

2- سياق السورة: من أعظم دلائل الإعجاز في القرآن العظيم أنه بني على سور متفرقة لكنها منتظمة في بناء واحد محكم، وكل سورة منها وحدة متكاملة متناسقة يجمعها غرض واحد يسمى بوحدة السورة أو سياقها، ووحدة السورة أو سياقها العام هو الذي يطلع القارئ على مضمون السورة كلها.

---

[1] . ينظر : العامري، خليل خلف بشير: السياق وأنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني. ص42

3- سياق النص أو المقطع أو الآيات: يأتي جزءا ووحدة من جملة السورة يكون موضوعه واحداً وغرضه واحداً ، لكنه يتناسق ويتناسب مع وحدة السورة العام، ويظهر النص غالباً في سياق القصص، وبعض التشريعات.

4- سياق الآية: كل آية في كتاب الله تحمل غرضاً مستقلاً([1])

نلاحظ مما سبق أن هذه الأنواع الأربعة هي التي يتوزع عليها سياق القرآن بشكل عام، فإذا لاحظنا النوع الأول وهو سياق القرآن فيقصد به المعاني الأساسية والموضوعات الرئيسة التي يشتمل عليها القرآن كله عامة ، أما النوع الثاني وهو سياق السورة، فنرى أن كل سورة هي جزء لا يتجزأ من القرآن العظيم ، فتكون كل سورة كيانا خاصا بها يتناسب مع باقي سور القرآن الكريم في منظومة معجزة، والنوع الثالث وهو سياق النص أو المقطع، نلاحظ من خلاله أن كل مقطع أو كل مجموعة آيات تشكل وحدة أساسية في السورة تتكامل السورة بمقاطعها، فكل مجموعة آيات تتناسب مع وحدة السورة، وعند النظر في سياق الآية نرى أن كل آية في القرآن تتكامل مع الآيات الأخرى.

خصائص السياق القرآني :

1_ ضبط السياق القرآن لفهم المتلقي

---

[1] . ينظر : الأمين، آمال السيد محمد: أنواع السياق في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية. مجلة جامعة الناصر، العدد7، 2016، ص99

2_ عدم قابلية السياق القرآني التفكيك أو التجزيء

3_ مرونة السياق القرآني وحيويته ([1])

فوائد السياق القرآني :

توجيه المتشابه اللفظي _ التنوع الدلالي _ الترجيح الدلالي _ تخصيص العام _ دفع التكرار المعنوي _ نقد الروايات على ضوء السياق _ دفع الأوهام في هذا المقام . ([2])

الفرق بين مصطلحي السياق والنظم :

السياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة , والنظم يبحث في ترابط المعاني بألفاظها , وبهذا يظهر الفرق بين المصطلحين , وبعبارة دقيقة وموجزة . السياق هو علاقة المعنى بالمعنى , والنظم هو علاقة اللفظ بالمعنى . والسياق بهذا المفهوم خادم للنظم .([3])

وظائف السياق:

يقوم السياق بوظائف مهمة ، ومنها التنسيق بين المعاني واختيار المعنى الأكثر ملاءمة للتعبير عن موقف محدد انطلاقاً من رؤية داخلية للعلاقات القائمة بين هذه الكلمات. ([4])

---

[1] . محمود: المثنى عبد الفتاح : نظرية السياق القرآني . ط1, دار وائل للنشر , عمان , 2008,ص 53-71

[2] . المرجع السابق : ص 162_ 252

[3] . المرجع السابق : ص17_18

[4]. ينظر: خمري، حسين: الظاهرة الشعرية العربية الحضور والغياب. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص200

وللفظ معناه خارج السياق, وعند إدماجه في التركيب يكون لـه معنـى آخر .والسياق هو الذي يُعيّن المعنى المراد. وللسياق دور كبير في ترجيح بعض المعاني على بعضها الآخر. ([1])

مظاهر الطبيعة في صورة المشبه به:

جاء المشبه به المنعوت حسيا مستمدا من مظاهر الطبيعة ، كالنخلة في قوله تعالى : وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ "([2]) وقوله : "تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ"([3]). وقوله : فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ".([4]) ومن المعلوم أن النخلة من أكثر عناصر الطبيعة التصاقا بحياة العربي في الجزيرة العربية ، فاختيار النخلة مشبها به يمثل دعوة للإنسان كي يُبصر أقرب الأشياء لعينيه ، ليأخذ العبرة والموعظة . واللافت أن القرآن الكريم اختار أصغر مظاهر الطبيعة وأكبرها مشبها به ، فأصغر الأشياء وأهونها جاءت في سياق يوم القيامة العظيم ، نحو قوله تعالى : "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5)" ([5])وقوله : " خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ"([6]) . وترى الباحثة أن تشبيه الناس بمخلوقات صغيرة ضعيفة كالفراش والجراد ، وبأشياء لا وزن لها كالصوف يشكل مفارقة لافتة تدعو الإنسان إلى التفكر

---

[1] . ينظر : الرحيلي، مريم وصل الله صامل: أثر السياق في توجيه المعنى. رسالة دكتوراة، جامعة طيبة، السعودية، إشراف الدكتور: ناجح عبد الحافظ مبروك عبيد، 2010، ص8

[2] . يس : 39

[3] . القمر :20

[4] . الحاقة : 7

[5] . القارعة : 4-5

[6] . القمر: 7

والتدبر ، لأن الحياة الدنيا لا قيمة لها ، ولا وزن لها ، فهي لا تساوي جناح بعوضة ، وأن الأمر الجلل هو ما ينجم عن البعث والنشور من حساب رباني.

يتخذ القرآن الطبيعة المادة الأساسية الأولية التي يقتبس منها تشبيهاته، والتشبيه وسيلة من وسائل التعبير التصويرية يستمد قوته "من الخيال فكما أن الرسم والتصوير يعتمد على الأصباغ والأحجار التي تؤلف وتصقل لترمز إلى طبيعة جميلة أو فتنة ساحرة، أو عبقرية نادرة نجد التشبيه يشاركهما في الإفصاح عن الفكرة والتعبير عن العاطفة بما فيه من عنصر الخيال الذي يقابل تلك الأصباغ والأحجار([1])"

ترتبط خصائص التشبيه في القرآن بمناسبة الغرض الذي سيقت لأجله، وكذلك نلاحظ دقة الألفاظ والمفردات المنتقاة والمختارة في القرآن، كما أن تشبيهات القرآن "بعيدة عن ترف الخيال ورعونة العاطفة وسرف القول وفضوله فهي إذن عناصر أساسية في الموضوع وأجزاء رئيسة في الجملة([2])"

القرآن الكريم كتاب هداية للناس ولهذا الأصل وضع، فإن تشبيهات القرآن جاءت لتتناسب وتتلاءم مع هذا الغرض، كما ان القرآن يستعمل أسلوب التشبيه للترغيب والترهيب وذلك "ليقرر الأمر المرغّب به كي تقبل النفس عليه ويبين المرهّب منه كي تنفر النفس منه([3])" وجاء المشبه به ترغيبا وترهيبا ، فمن الترغيب إنفاق المؤمنين في سبيل الله نحو قوله

---

[1] . علوان، محمد شعبان وزميله: من بلاغة القرآن. ط2، الدار العربية، 1998، ص194

[2] . عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفنانها . ط10، دار الفرقان، 2005، ص89

[3] . المرجع السابق : ص92

تعالى : "ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّةٍ بربوةٍ أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير([1])" ومن الترهيب إنفاق الكافرين نفاقا ورياء ، نحو قوله تعالى : " مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صرّ أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون"([2]) وفي هذا السياق يقول ابن الأثير: " إذا مثّلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به ، أو بمعناه وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التنفير عنه ،و إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها وهذا لا نزاع فيه . ([3])

التأثير النفسي للتشبيه

للتشبيه أثر كبير في النفس الإنسانية؛ لأنه يبين الأمور المخفية ويخرج بها إلى الوضوح والجلاء، وطبيعة النفس الإنسانية تأنس إذا خرجت بالشيء من الخفي إلى الوضوح، ومن الشيء المجهول إلى الملموس المعقول، وبذلك تجد النفس الارتياح بمعرفتها بالأشياء المأنوسة، والتمثيل إذا "وقع في صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان ليقنع السامع، وإذا أتى بعد استيفاء المعاني كان إما دليلاً على إمكانها، وإما تأييداً للمعنى الثابت، فالتمثيل يكسب القول قوة، فإن كان في المدح كان أهز للعطف، وأنبل في

---

[1] . البقرة : 265

[2] . آل عمران: 117

[3]. ابن الأثير ، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق : الشيخ كامل محمد عويضة , ط 1 ، دار الكتب العلمية ، 1998 ، ج1 ، ص378

النفس، وإن كان في الذم كان وقعه أشد، وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر وأبلغ في التنبيه والزجر، وإن كان افتخاراً كان شأوه أبعد([1])"

ويمنح المشبه به أفقا تخيليا للمشبه ، ويؤثر على مشاعر المتلقي ووجدانه ، فهو "يضفي على المعنى شرفاً ووضوحاً ويزيده قوة وتأكيداً، ويرفع من قدر الكلام فتهفو النفس له، ويتحرك القلب إليه، لأنه ينتقل بنا من المعنى الأصلي إلى صورة تشبهه، وكلما جلا التشبيه المعنى وزاده قوة ووضوحاً كان أملك للنفس وأبعد للتأثير([2])"

ومن أسباب تأثير التشبيه في النفس أنه ينقلها من المعقول إلى المحسوس، ومن "الفكرة إلى الفطرة، ومن الغموض إلى البديهة، ومن شأن هذا أن يزيل ما فيها من شكوك، ويذهب ما فيها من أوهام، وصلة النفس بالمحسوسات أسبق من صلتها بالمعقولات، ومن أسباب تأثير التشبيه ما في التشبيه من الجمع بين الأشياء المتباعدة، وفي هذا السبب من الطرافة ما تستريح له النفس، ومن أسباب تأثير التشبيه حاجته إلى الفكر، وفي هذا السبب لذة تسعد بها النفس ويستريح لها القلب([3])"فمثلاً في قوله تعالى: "له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيءٍ إلا كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال"([4])، فالآية الكريمة تبين لنا أن الذين يدعون غير الله تعالى ويعبدون غيره لا يستجاب لهم، وإنما أتى التشبيه ليقوي المعنى في النفس ويزيل الشكوك

---

[1] . الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة . محمود محمد شاكر , دار المدني، جدة, 1991م, ص265

[2] . حسين، عبد القادر: القرآن والصورة البيانية. ط2، عالم الكتب، بيروت، 1985، ص110

[3] . عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وافنانها. ص76

[4] . الرعد : 14

عنها، ويزيد المعنى تثبيتاً وتأكيداً، وهذا التشبيه من المعاني المحسوسة المرتكزة على البديهة والعقل، فشبه من يدعو غير الله أي الكافرين بمن يبسط يده إلى الماء ليشرب ولكن الماء لا يصل لفم الشارب ليبل ظمأه، وبذلك فإنه لا يحصل على مبتغاه.

الفصل الأول

النعت والمشبه به عند النحاة والبلاغيين

المبحث الأول : النعت بين القاعدة النحوية والرؤية البلاغية

المبحث الثاني : التواصل الدلالي بين النعت والمشبه به

المبحث الأول : النعت بين القاعدة النحوية والرؤية البلاغية:

يرى الرماني أن النعت بيان وتفسير وتوضيح دلالي زائد فهو: "قول له بيان زائد على بيان الاسم الجاري عليه مختص له([1])" . وتؤكد الباحثة أن مدلول الزيادة التي نص عليها الرماني تشكل محورا رئيسا في معاينة نعت المشبه به ، إذ إن الزيادة الدلالية التي يُضفيها النعت على المشبه به من جهة ، وعلى سياق التشبيه عامة من جهة أخرى هي الفضاء التحليلي لآيات نعت المشبه به. فالنعت يعطي دلالات أعمق للمشبه به ، وبدون النعت لا يستقيم التشبيه ، ويكاد يفقد المشبه به رونقه وتأثيره على المتلقي ، إذ إن نعت المشبه به يتضمن صفات مشتركة بينه وبين المشبه ، وينبغي على المتلقي أن يتأمل في التركيب، ليكتشف التواصل الدلالي بين لفظ النعت ولفظ المشبه به من جهة ، والتواصل الدلالي بين النعت والمشبه به والسياق من جهة أخرى .

لم تعد التبعية النحوية للنعت كافية ، فالقول إن النعت يتبع المنعوت في الحركات الإعرابية والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير لا يسهم في الكشف عن العلاقات الدلالية بين النعت والمشبه به . إن العلاقة بين النعت والمشبه به (المنعوت) علاقة بناء وإيضاح وتكامل كي يكون المعنى أكثر وضوحا للمتلقي، وأكثر قربا للمعنى المقصود .

ويضيف ابن جني: اعلم أن الوصف: لفظ يتبع الموصوف تحلية وتخصيصاً ممن له مثل اسمه بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه([2]).ولا يخفى أن النعت ليس لفظا مفردا دائما ، وإنما يأتي مفردا وتركيبا(نعت الجملة) . وتذهب الباحثة إلى أن القيمة الجمالية

---

[1] . الرماني، أبو الحسن: رسالتان في اللغة. تحقيق: إبراهيم السامرائي. ط1 ، دار الفكر، عمان، 1984، ج1، ص69

[2] . الأصبهاني، أبو الحسن: شرح اللمع في النحو لأبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق: محمد خليل مراد الحربي. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص246

للنعت لا ترتبط بكونه مفردا أو تركيبا ، وإنما ترتبط بالتفاعل بين النعت والمشبه به وبالسياق الكلي للتشبيه .

وينبغي التأمل جيدا في قول ابن جني (تخصيصا) الذي يشير إلى أن النعت يحول الدلالة من المستوى العام إلى المستوى الخاص ،أو من الفهم العام الذي يفيده ظاهر اللفظ إلى الفهم الخاص الذي تفيده البنية العميقة للنعت، أي يجعل ذهن المتلقي غير مقيد بدلالة واحدة، بل يُطلق ذهن المتلقي نحو دلالات مستمدة من السياق ، ويعزز ما تقدم قول ابن جني في التعريف السابق (بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه) أي أن دلالة النعت لا تقتصر على المنعوت بل تشمل ما له علاقة بالمنعوت (المشبه به)، ففي قوله تعالى : " يوم يكون الناس كالفراش المبثوث" ([1]) يتحول ذهن المتلقي من الصورة العامة للفراش إلى صورة خاصة تتصف بحركة الفراش وطيرانه ، وهذا هو الانتقال من المستوى الدلالي العام إلى المستوى الدلالي الخاص ، كما أن النعت (المبثوث) حدد حالة الفراش بالحركة والطيران ، ونفى أن يكون الفراش ساكنا .

رؤية في مفهوم التشبيه:

إن تعريف التشبيه في مصنفات التراث البلاغي لا يسعف في رصد التكامل الدلالي بين نعت المشبه به ، لأن التعريف يحصر التشبيه بطرفيه (المشبه والمشبه به) وينبه إلى علاقة المشابهة بين الطرفين التي اصطلح على تسميتها بـ وجه الشبه. فحينما نقرأ أن

[1] . القارعة 4

التشبيه الجمع بين شيئين أو أشياء بمعنى ما بوساطة الكاف ونحوها([1]) أو أن التشبيه دلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بأداة ظاهرة أو مقدرة([2]) لا نجد التعرفين يسمحان للتشبيه بالتواصل الدلالي مع المكونات النحوية التي تكتنفه .

وترى الباحثة أن تعريف التشبيه قيّد البلاغيين القدماء في دراسة جماليات التشبيه، وتزعم أن بعض الباحثين المحدثين والمعاصرين ما زال مقيدا بما قاله القدماء عن التشبيه، لأنهم يعتكفون على أركان التشبيه الأربعة (المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه) ، وجل كلام القدماء محصور في مقتضيات الأركان الأربعة ، فإذا كان التشبيه مفردا نظروا إلى الأداة ووجه الشبه ، فإن ذكرت الأداة فهو مرسل ، وإن حذفت فهو مؤكد . ونظروا إلى وجه الشبه فإن كان وجه الشبه مذكورا سموه مفصلا ، وإذا كان محذوفا سموه مجملا , وفي حدود علم الباحثة لا يعلل البلاغيون سبب تسمية أنواع التشبيه السابقة .

ويحق لنا أن نتساءل : ما فائدة معرفة الأنواع السابقة إذا عزلنا المشبه به عن النعت ؟ ""وتفتقد بعض التسميات البلاغية علّة التسمية، ومن ذلك التشبيه البليغ، فقد اصطلح البلاغيون على أن حذف الأداة ووجه الشبه في التشبيه المفرد يسمى تشبيهاً بليغاً، وهي تسمية بديلة لتسمية المؤكد المجمل –كما هو معلوم–. وتثير تسمية "البليغ" تساؤلات عّدة؛ هل تقتصر بلاغة التشبيه على حذف الأداة ووجه الشبه؟، وهل ذكر الأداة أو وجه الشبه يحرم

---

[1] .العلوي, يحيى بن حمزة:الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.تحقيق:عبد الحميد هنداوي,ج1, 1995، ص126

[2] .الباقلاني, محمد بن طيب أبو بكر:إعجاز القرآن.تحقيق:السيد احمد صقر.ط5, دار المعارف,القاهرة, 1954, ص290

التشبيه من سمة البلاغة؟!، وإذا كانت تسمية "بليغ" مستمدة من البلاغة فهل تخرج الأنواع الأخرى من دائرة البلاغة؟""([1])

وترجح الباحثة أن بعض التعريفات للتشبيه يشوبها شيء من الفلسفة التي لا يقتضيها فهم التشبيه ، والإحساس بجمالياته ؛ نحو تعريف التشبيه الذي ينص على أن التشبيه وقوع شيئين بينهما اشتراك في معان تعمها ويوصف بها واقتران في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفاتهم([2]) ، أو أن التشبيه " مستدعي طرفين ,مشبها ومشبه به واشتركا بينهما في وجه وافترقا في وجه آخر, مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو العكس" ([3]) . ومن المعلوم أن العلاقة بين المشبه والمشبه به علاقة مشابهة ، وليست علاقة تماثل أو تطابق.

وعطفا على ما تقدم يحتاج مفهوم التشبيه إلى إعادة نظر في تعريفه ، أو على الأقل يحتاج إلى طريقة جديدة في دراسته تضمن تأثر عناصر التشبيه وخاصة المشبه به بما يحيط به من مكونات نحوية ، كما هي الحال في تأثر المشبه به بالنعت ، أو العكس.

ويُضمر قول النحاة: إن النعت "دال على معنى في متبوعه فلكون المتبوع معيناً لذلك الذي قام به المعنى ومخصصاً له وكونه إياه([4])" التوافق الدلالي بين النعت والمشبه به الذي يحتاج إلى معاينة البنية المعجمية للنعت وللمشبه به – كما سيتضح في حنايا الدراسة أن

---

[1] . عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ط1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2012 ، ص84

[2] . ينظر : جعفر,بن قدامة:نقد الشعر.تحقيق:محمد عبد المنعم خفاجي,ط,1دار الكتب العامة بيروت–لبنان, 1302,ص124

[3]. السكاكي، أبو يعقوب: مفتاح العلوم.ط2, دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان,1987, ص332

[4] . الأستراباذي، رضي الدين: شرح الرضي على الكافية. تحقيق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، طهران، 1975، ج1، ص38

من معاني النعت ما يتوافق مع معاني المشبه بـه (المنعوت) ، وستبين أن التواصل الدلالي بينهما في المستوى المعجمي يعلل مجيء نعت ما بدلا من نعت آخر.

وترى الباحثة أن دلالة (التحلية) في قول النحاة "الصفة لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحليةً وتخصيصاً له بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه وذلك المعنى عرض للذات لازم له([1])" لا تخدم القيم الدلالية والجمالية الناجمة عن علاقة النعت بالمشبه به في القرآن الكريم ، لأن العلاقة بينهما تتجاوز معنى التحلية إلى وجود شبكات دلالية تسهم في اتساع العلاقة الدلالية بين النعت والمشبه به .

الال دلالة نعت المشبه به. العسكريالال **وما يعزز رأي الباحثة فيما تقدم" أن التحلية للنعت فِي الأَصْل فعل الْمحلي وَهُوَ تركيب الْحِلَية على الشَّيْء مثل السَّيْف وَغَيره وَلَيْسَ هِيَ من قبيل القَوْل مجَاز وَهُوَ أَنه قد جعل مَا يعبر عَنهُ بِالصّفةِ صفة كَمَا أَن الْحَقِيقَة من قبيل القَوْل ثمَّ جعل مَا يعبر عَنهُ بِالْحَقِيقَةِ حَقِيقَة هُوَ الذَّات إِلَّا أَنه كثر بِهِ الِاسْتِعْمَال حَتَّى صَار كالحقيقة" ([2])**

حدد ابن عصفور النعت بقولـه : اسم أو مـا هو فـي تقديره من ظرف أو مجرور أو جملة يتبع ما قبله لتخصيص نكرة أو لإزالة اشتراك عارض فـي معرفة أو مدح أو ذم أو ترحم أو تأكيد مما يدل على حليتـه أو نسبه أو فعلـه أو خاصة من خواصـه([3]). يضيف قول ابن عصفور إلى ما تقدم بعدا دلاليا جديدا للنعت فـي قولـه(لإزالـة اشتراك عارض) الذي قد يفيد

---

[1] . ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل للزمخشري. دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص232

[2] . العسكري ، أبـو هـلال : الفـروق فـي اللغـة . تحقيـق : محمـد إبـراهيم سـليم . دار العلـم والثقافـة للنشـر والتوزيـع، القاهرة ، ب . ت ، ص 31

[3] . ابن عصفور، علي بن مؤمن: المقرب. ط1، 1972م

توجيه المتلقي للمعنى المقصود ،فالنعت يثبت معنى المدح وينفي معنى الذم ، أو العكس ، ويمكن أن تتخيل حالة المتلقي أمام معنى ينقصه التوجيه ، وأمام معنى يتحقق فيه التوجيه للمعنى بوساطة النعت ، فحالة المتلقي الأولى تتصف بالحيرة والشك والتردد ، وحالته الثانية تتصف باليقين والتثبت من المعنى ، وبهذا يكون للنعت وظيفة نفسية دلالية .

فائدة النعت :

تخصيصٌ , أو توضيحٌ , أو مدحٌ , أو ذمٌ , أو ترحمٌ , أو توكيدٌ .

فائدة النعت : إما تخصيص نكرة , كقولك مررت برجلٍ كاتبٍ, أو توضيح معرفة , كقولك : مررت بزيدٍ الخياط . أو مدحٌ , نحو : بسم الله الرحمن الرحيم , أو ذمٌ , نحو : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم , أو ترحمٌ , نحو : اللهم ارحم عبدك المسكين , أو توكيدٌ , نحو قوله تعالى : "تلك عشرةٌ كاملةٌ" .([1])

الفرق بين النعت والصفة:

يرى ابن يعيش أن الصفة والنعت شيء واحد ، وذهب بعض النحاة إلى التفرقة بينهما في أن النعت يكون بالحلية كطويل وقصير ، والصفة تكون بالأفعال مثل ضارب وخارج. ومن النحاة من يرى أن النعت والصفة أو الوصف شيء واحد ، ومنهم ابن علي الصبان الذي يقول: "النعت خاص بما يتغير كقائم وضارب والوصف والصفة لا يختصان به، بل يشملان نحو: عالم وفاضل، وعلى الثاني يقال: صفات الله وأوصافه ولا يقال نعوته، والذي في

[1] . عبد الحميد , محمد محي الدين : قطر الندى وبل الصدى , تصنيف ابن هشام , ط9, المكتبة التجارية الكبرى , مصر, 1957, ص 284

القاموس أن النعت والوصف مصدران بمعنى واحد، وأن الصفة تطلق مصدراً بمعنى الوصف واسماً لما قام بالذات كالعلم والسواد"([1])

ينفي أبو هلال العسكري قول بعض النحاة أَن النَّعْت لما يتَغَيَّر من الصِّفَات ، وَالصّفة لما يتَغَيَّر، وَلما لَا يتَغَيَّر ، فالصفة أَعم من النَّعْت . وأنه يَصح أَن ينعَت الله تَعَالَى بأوصافه لفعله ، لِأَنَّهُ يفعل وَلَا يفعل، وَلَا ينعَت بأوصافه لذاته، إِذْ لَا يجوز أَن يتَغَيَّر . ويؤكد العسكري أَن النَّعْت هُوَ مَا يظْهر من الصِّفَات ويشتهر ، وَلِهَذَا قَالُوا : هَذَا نعت الْخَلِيفَة كَمثل قَوْلهم الْأمين والمأمون والرشيد . وَقَالُوا : أول من ذكر نَعته على الْمِنْبَر الْأمين ، وَلم يَقُولُوا : صفته وَإِن كَانَ قَوْلهم (الْأمين) صفة لَهُ عِنْدهم ، لِأَن النَّعْت يُفِيد من الْمعَانِي الَّتِي ذَكرنَاهَا مَا لَا تفيده الصّفة ، ثمَّ قد تتداخل الصّفة والنعت فَيَقَع كل وَاحِد مِنْهُمَا مَوضِع الآخر لتقارب معنييهما ويجوز أَن يُقَال الصّفة لُغَة تتداخل الصّفة والنعت فَيَقَع كل وَاحِد مِنْهُمَا مَوضِع الآخر لتقارب معنييهما وَلَا فرق بَينهمَا فِي الْمَعْنى وَالدَّلِيل على ذَلِك أَن أهل الْبَصْرَة من النُّحَاة يَقُولُونَ : الصّفة. وَأهل الْكُوفَة : يَقُولُونَ النَّعْت ، وَلَا يفرقون بَينهمَا.([2])

ويُلخص أبو البقاء الكفوي آراء بعض النحويين في الفرق بين النعت والصفة مستهلا بالتعريف اللغوي في قوله : النَّعْت فِي اللُّغَة: عبارَة عَن الْحِلْية الظَّاهِرَة الدَّاخِلَة فِي مَاهِيَّة الشَّيْء ، وَمَا شاكلها كالأنف والأصابع والطول وَالْقصر وَنَحْو ذَلِك. وَالصّفة: عبارَة عَن الْعَوَارِض كالقيام وَالْقعُود وَنَحْو ذَلِك. ويورد أبو البقاء اتفاق بعض النحاة على أن النعت

---

[1] . ابن علي الصبان الشافعي، أبو العرفان: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك.ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، 1997، ص83

[2] . العسكري ، أبو هلال : الفروق في اللغة . تحقيق : محمد إبراهيم سليم . دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، ب . ت ، ص 30

والصفة بمعنى واحد بقوله : وقَالَ بَعضهم: مَا يُوصف بِهِ الْأَشْيَاء على اخْتِلَاف أَنْوَاعهَا وأجناسها يُسمى نعتاً ووصفاً.

وينقل رأيا في الفرق بينهما يتعلق بالثبات والتغير في قوله : النَّعْت يسْتَعْمل فِيمَا يتَغَيَّر من الْجَسَد. وَالصّفة تَشْمَل الْمُتَغَيّر وَغير الْمُتَغَيّر. ويستشهد بقول ثَعْلَب للتفريق بينهما من حيث العموم والخصوص في قوله: النَّعْت مَا كَانَ خَاصّا كالأعور والأعرج فَإِنَّهُمَا يخصان موضعا من الْجَسَد. وَالصّفة مَا كَانَت عامّاً كالعظيم والكريم. وَعند هَؤُلَاءِ يُوصف الله تَعَالَى وَلَا ينعَت. ويشير أبو البقاء إلى أن المتكلمين يطلقون النَّعْت فِي صِفَات الله وَلَا يطلقون الْحَال لغَرَض الْإِشْعَار بِثُبُوت صِفَاته أزلاً وأبداً، وَكَرَاهَة الْإِشْعَار بالحلول. وَقد يعبرون عَن الْحَال بالنعت، وَعَن الْكَمَال وَالْأَفْعَال بِالصّفةِ.([1])

وعطفا على الاختلاف بين النحاة في الفرق بين النعت والصفة ، فإن الباحثة لا تجد مسوغا لتبني رأيا نحويا دون غيره من الآراء السابقة ، لأن الهدف من دراسة النعت (نعت المشبه به) ليس هدفا نحويا ، وإنما هدف دلالي بالكشف عن القيم التعبيرية والجمالية لنعت المشبه به ، فالاختلاف بين النحاة في الفرق بين النعت والصفة لا جدوى منه في معاينة نعت المشبه به في القرآن الكريم .

وظيفة النعت:

[1] . ينظر : الكفوي ، أبو البقاء : الكليات . تحقيق : عدنان درويش –و محمد المصري .مؤسسة الرسالة ، بيروت، ب ، ت ، ص 901

إن الاكتفاء بوظائف النعت أو أغراضه التي نص عليها النحاة لا تُسعف في رصد التأثير الدلالي للنعت على المشبه به ، وتأثيره على السياق الكلي للتشبيه . ولو تأملنا بعض ما نص عليه النحاة ، كما جاء في شرح المقدمة المحسبة "إن النعت إنما دخل الكلام لتخصيص نكرة أو لإزالة اشتراك عارض في معرفة فتخصيص النكرة كقولك: هذا رجل قائم، خصصته من الرجال ممن ليس بقائم، وإزالة الاشتراك كقولك: هذا زيد البزّاز، أزلت الاشتراك الذي كان بينه وبين من له مثل اسمه وليس ببزّاز، وقد تكون الصفة لا لتخصيص ولا لإزالة اشتراك، ولكنها تكون لثناء ومدح أو ذم، مثل قولك: قال زيد العالم أو الجليل أو الشيخ الفاضل ونحوه وعلى هذا تحمل صفات القديم ثناؤه لأنها ليست لتخصيص ولا لإزالة اشتراك([1]) ندرك أن أغراض النعت في تخصيص النكرة ، وإزالة الاشتراك ، والمدح والذم لا تكفي لدراسة الأبعاد الدلالية للنعت في سياق التشبيه ؛ لأن تلك الأغراض لا تشير إلى التفاعل الدلالي بين النعت والمنعوت(المشبه به) ، ولا تسهم تلك الأغراض في بيان التواصل الدلالي بين النعت وعناصر المشبه ، أو التواصل بين النعت والسياق العام للآية.

تعدد النعوت:

يكتفي النحاة بشروط الاتباع من حيث التثنية الجمع حينما يتعدد النعت ، ويكاد يغيب الأثر الدلالي لتعدد النعت ، كما يتجلى في قول ابن هشام : "إذا تعددت النعوت فإن اتحد معنى النعت استغني بالتثنية والجمع عن تفريقه نحو: "جاءني رجلان فاضلان" و"رجال

[1] . ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد: شرح المقدمة المحسبة. تحقيق: خالد عبد الكريم، ط1، المطبعة العصرية، الكويت، ج1 ، ص413 وينظر : الزمخشري، أبو القاسم جار الله: المفصل في صنعة الإعراب. تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ج1، 1993، ص37

فضلاء" وإن اختلف وجب التفريق فيها بالعطف بالواو كقوله: " مررت برجالٍ شاعرٍ وكاتبٍ وفقيهٍ" وإذا تعددت النعوت واتحد لفظ النعت فإن اتحد معنى العامل وعمله جاز الإتباع مطلقاً كـ"جاء زيد وأتى عمرو الظّريفان" و"هذا زيد وذاك عمرو العاقلان" و"رأيت زيداً وأبصرت خالداً الشاعرين" وخصّ بعضهم جواز الإتباع بكون المتبوعين فاعلي فعلين أو خبري مبتدأين، وإن اختلفا في المعنى والعمل كـ"جاء زيد ورأيت عمراً الفاضلين" أو اختلف المعنى فقط، كـ"جاء زيد ومضى عمرو الكاتبان" أو العمل فقط كـ"هذا مؤلم وموجع عمراً الشاعران" وجب القطع([1])" ويتجاوز منهج الدراسة ما نص عليه النحاة حينما يتعدد النعت ، وبخاصة النعت المركب ، لأن التعدد لا يقتصر على مقتضيات الاتباع النحوي ، وإنما يتصل بمقتضيات السياق الدلالي.

وترى الباحثة أن التحليل الأسلوبي لتعدد النعت يتجاوز شروط تعدد النعت التي نص عليها النحاة ، وبخاصة في النعت المركب للمشبه به حينما تتعدد الجمل الفعلية أو الجمل الاسمية أو أشباه الجمل للمنعوت الواحد (المشبه به).

ومن الأمثلة على وظيفة النعت وأغراضه قوله تعالى: "الحمد لله ربّ العالمين"([2])، فقد وصف الله تعالى ذاته بأنه رب العالمين جميعاً. والوصف هنا يراد منه "تمجيد الله وتعظيمه. وقد يراد من النعت الذم نحو قوله تعالى: "وإنّي أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم"([3])، فكلمة الرجيم جاءت وصفاً للشيطان بقصد الذم، كما يأتي النعت للتوكيد كما في قوله تعالى:

---

[1] . ابن هشام، أبو محمد: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ج3، ص 271

[2] . الفاتحة : 1

[3] . آل عمران: 36

"فإذا نفخ في الصور نفخةٌ واحدة"([1]) فواحدة صفة للنفخة([2])"، وهذه أغراض النعت الحقيقي وهي: الذم، وإظهار الضعف والترحم والتوكيد وغيرها.

اجتهد بعض الباحثين في ربط الوظيفة النحوية للنعت بالسياق الدلالي .ويمكن إجمال الوظائف الدلالية لتعدد النعت التي نص عليها النحاة على النحو الآتي:

"1- التفصيل بعد الإجمال كما في قوله تعالى "قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين"([3]) عندما سأل قوم موسى عن لون البقرة أجابهم الله بأنها بقرة صفراء شديدة الصفرة مبهجة للعين فقد فصّل الله لنبيه موسى صفة هذه البقرة كي يعرفوها ويميزوها من بين البقر.

2- تكوين صورة ذهنية لدى المخاطب عن المنعوت بالإيجاب.

3- تكوين صورة ذهنية لدى المخاطب عن المنعوت بالسلب.

4- تخصيص صفة سابقة: قال تعالى" وعد الله المؤمنين والمؤمنات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن"([4])، في هذه الآية تعدد النعت لمنعوت واحد(مساكن) جاء بعده نعتان لفظ طيبة التي تصف المساكن التي وعد الله بها المؤمنين والمؤمنات .و جاء النعت الثاني ليخصص مكان هذه المساكن الطيبة فهي في جنات عدن الخالدة.

---

[1] . الحاقة: 13

[2] . الشبول، قاسم محمد سلامة: أسلوب النعت في القرآن الكريم.ط1, عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص37

[3] . البقرة، 69

[4] . التوبة، 72

5- دفع التوهم الممكن افتراضه في نعت متقدم: فمثلاً في قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين" ([1]) لولا النعت الثالث لتوهم أن ذلتهم لضعفهم فلما قيل أعزة على الكافرين علم انها منهم تواضع لهم فالمؤمنون يرحم بعضهم بعضاً .([2])

6- التعبير عن الكثافة الشعورية لحالة نفسية معينة.

7- الجمع بين نعتين لتكثيف الشعور بالمفارقة.

8- بيان صفات المنعوت قال تعالى: "فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته"([3])، تعدد صفات الرسول عليه السلام فهو النبي الذي أكرمه الله بالنبوة والرسالة. 9- الجمع بين وصف خارجي ووصف داخلي شعوري.

10- الغرض الدلالي: التصوير([4])"

أنواع نعت المشبه به في القرآن الكريم:

تشمل الألفاظ المفردة ، والجمل الفعلية ، والجمل الاسمية ، وأشباه الجمل .

1- النعت المفرد

توسع النحاة باللفظ المفرد الذي يصح أن يأتي نعتا ، إذ يشمل الأسماء المشتقة العاملة، أو ما في معناها. "والمقصود بالعاملة: اسم فاعل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول وأفعل التفضيل. والمقصود بما في معناها: كل الأسماء الجامدة التي تشبه

---

[1] . المائدة : 54

[2] . السبيعي , مها عبد الرحمن : ظاهرة تعدد الوظيفة النحوية في التركيب اللغوي (الخبر- الحال – النعت). رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: محيي الدين محسّب، جامعة الملك سعود، السعودية، 1429هـ، ص175

[3] . الأعراف: 158

[4] . السبيعي، مها عبد الرحمن: ظاهرة تعدد الوظيفة النحوية في التركيب اللغوي (الخبر- الحال- النعت). ص173

المشتق في دلالتها على معناه، والتي تسمى: الأسماء المشتقة تأويلاً. فإنَّها تقع نعتاً أيضا. وأشهرها: أسماء الإشارة غير المكانية؛ مثل: "هذا" وفروعه، وهي معارف فلا تقع نعتاً إلا للمعرفة؛ نحو: استمعت إلى الناصح هذا. أي: إلى الناصح المشار إليه؛ فهي تؤدي المعنى الذي يؤديه المشتق. أما أسماء الإشارة المكانية "مثل: هُنا –ثَمَّ".... فظروف مكان، لا تقع بنفسها نعتاً؛ لأن مهمتها تختلف عن مهمة النعت: ولكنها تتعلق بمحذوف يكون هو النعت: مثل: أسرع العطاش إلى ماء هنا، أي: موجود هنا، أو نحو هذا التقدير.([1])

رصدت الباحثة أنواع النعت المفرد للمشبه به ،فوجدت أن نعت المشبه به جاء مشتقا، ولم يرد نعت المشبه به أسماء جامدة . ومن أنواع المشتقات لنعت المشبه به –التي سترد في الفصل الثاني – الصفة المشبهة قال تعالى: "وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ "([2]) . واسم الفاعل ، قال تعالى :"تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ"([3]). واسم المفعول قال تعالى :" فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ".([4])

ويرى بعض المحدثين أن نعت المفرد بالأسماء الجامدة من باب الاتساع في اللغة العربية إذ إن الجوامد أكثر من المشتقات _ من حيث العدد_ فيما ينعت به من النعوت المفردة , وشرط الجمود لا يقوم في وجه هذه الكثرة , وان اشتراط الاشتقاق في النعت المفرد يبدو غير منطقي وغير متوافق مع طبيعة العربية ومرونتها وسعتها التعبيرية المعهودة ولقد وردت نعوت

---

[1] . ينظر : حسن ، عباس : النحو الوافي . ط 15 ،دار المعارف، القاهرة، ج3 ، ص458 ، 459

[2] . يس : 39

[3] . القمر :20

[4] .سورة الفيل :5

كثير جامدة كأسماء الموصول وأسماء الإشارة بل الأعداد كذلك, وهذه الكثرة تنقض القاعدة .([1]) وترى الباحثة أن نعت المفرد بالأسماء الجامدة لا يشكل ظاهرة مائزة في اللسان العربي ،وخاصة أسماء الإشارة .

2-النعت بالجملة الفعلية

وضع النحاة شروطا عدة لنعت الجملة ([2]) ، وتكتفي الباحثة بالإشارة إلى الشرط الذي يغلب على نعت الجملة الوارد في فضاء الدراسة ، ومن الشروط أن يكون منعوت الجملة نكرة محضة، مثل كلمتي "فارس وشجاع" في قولهم: "أقبلَ فارس يبتسم، وانتصر شجاع لا يخاف، ويتحقق هذا بخلُوها من "أل الجنسية.([3])

ومن أمثلة النعت بالجملة الفعلية قوله تعالى :

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم) ([4]) تجسد النعوت المفردة والتركيبية في هذه الآية صورة أو لوحة تتداخل فيها

---

[1] . خضر , السيد علي : التركيب النعتي في العربية . دراسة في القرآن والشعر , مجلة كلية الآداب , جامعة المنصورة , 2000, ص 63

[2] . 1 -أن تكون خبرية تحتمل الصدق والكذب.

2 -أن تكون مشتملة على ضمير يربطها بالمنعوت ظاهراً .

3- أن تكون نكرة

[3] . ينظر : حسن ، عباس : النحو الوافي . ط 15 ،دار المعارف، القاهرة، ج3 ، ص472

[4] . النور:35

النعوت , فلفظ (درّي) نعت مفرد , و(يوقد) نعت جملة فعلية، و(مباركة) نعت مفرد ، و(شرقية)نعت مفرد لشجرة . " فالنعت من حيث الوظيفة النحوية هو الأساس في التركيب المذكور , ومن حيث الدلالة أعطى صورة جمالية واضحة عن طبيعة النور المراد تصويره لتقريب مفهوم "نور الله " إلى الأذهان بهذا المثل" .([1])

3- النعت بالجملة الاسمية ، نحو قوله تعالى :"مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صرّ أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون"([2]) فالنعت بالجملة الاسمية في قوله تعالى :(فيها صرّ) (فيها جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم ، وصر مبتدأ مؤخر)في محل جر نعت لريح.

يفيد استقراء نعت المشبه به في القرآن الكريم أن النعت بالجملة الفعلية أكثر من النعت بالجملة الاسمية ؛(لأن النعت الفعلي أقرب إلى الحركة والتصوير، وتكرار الفعل. أما النعت بالجملة الاسمية فيدل غالبا على الثبوت) ([3])

3-النعت بشبه الجملة

يصلح أن يكون نعتًا بشرطين: أولهما: أن يكون تامًا، أي: مفيدًا. وإفادته تكون بالإضافة، أو بتقييده بعدد، أو غيره من القيود التي تجعله يحقق غرضًا معنويًا جديدًا؛ فلا يصح "أقبل رجل عنك ". ثانيها: أن يكون المنعوت نكرة محضة.([4]) ومن أمثلة النعت بشبه

---

[1] . خضر , السيد علي : التركيب النعتي في العربية . ص 101_102

[2] . آل عمران: 117

[3] . خضر , السيد علي : التركيب النعتي في العربية .ص68

[4] . ينظر : حسن ، عباس : النحو الوافي . ص476

الجملة قوله تعالى :"أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ" ([1])

يتبين مما تقدم أن النعت المركب تعدد في غير موضع ، ويمنح تعددُ جمل النعت فضاء تخيليا للمتلقي ، " لأن العناصر التي تؤلف صورة المشبه به تشكل صورة ممتدة. فالنعت أحد عناصر استطالة الجملة العربية ، أي اتساع مداها الصوتي والدلالي لتعبر عن مواقف متنوعة وأحوال متعددة " ([2])

وفرّق النحاة بين عطف النعوت المفردة ، وعطف النعوت المركبة ، فيشترط في عطف النعوت المفردة المتعددة المختلفة المعاني بعضها عن بعض أن تكون النعوت المتعددة مختلفة المعاني وليست جُملًا؛ فلا يصح العطف في مثل: هذا رجل غنيّ ثريّ؛ لأن الثريّ بمعنى الغنيّ. والعطف يقتضي المغايرة المعنوية. أما إذا كانت النعوت المتعددة جُملًا فالأفضل عطفها؛ ولا يشترط اتفاقها في المعنى أو اختلافها؛ نحو: احترمُ رجلًا يترفع عن الصغائر، ويتوقى مواطن السوء، ويُجَنِّب نفسه الهوان؛([3]) فقد جاء نعت الرجل متعددا (ثلاث جمل فعلية جاءت نعتا).

---

[1] . البقرة: 19

[2] . خضر , السيد علي : التركيب النعتي في العربية .ص68

[3] . ينظر : حسن ، عباس : النحو الوافي . ج3 ، ص497

المبحث الثاني:

التواصل الدلالي بين النعت والمشبه به:

لا يستقيم الحديث عن المشبه به منعزلا عن النعت سواء كان النعت مفردا أو جملة أو شبه جملة؛ إذ إن عزل النعت عن المشبه به يسبب خللا في المعنى في بعض الأمثلة .والأصل في الخبر أن يتمم الفائدة وحده. لكنه في بعض الأحيان لا يتممها إلا بمساعدة لفظ آخر كالنعت؛ كقوله تعالى يخاطب المعارضين: {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} ، أي: ظالمون" ([1]) فالجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر (أنتم قوم) جملة تامة ينبغي أن يتم بها المعنى ، لأن الخبر يتمم معنى المبتدأ ، ولكن المعنى لا يكتمل بدون النعت (عادون) .

قد يكون الخبر قاصراً عن تقديم فائدة الجملة المرادة وذلك اذا كان معروفا من لفظ المبتدأ , فيكونان معا في حاجة الى ما يتمم المعنى المقصود من الجملة وهنا يستعين النظام

[1] .. حسن ، عباس : النحو الوافي . ط 15 ،دار المعارف، القاهرة، د. ت, ج3 ، ص440

اللغوي بوسيلة أخرى كالنعت لإتمام المعنى المقصود من الجملة .ومنه في سورة (ق) قوله تعالى "فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ "فقد تم معنى الخبر (شيء) بالنعت (عجيب), فلو قال تعالى "فقال الكافرون هذا شيء" وسكت لما أفاد شيئاً.([1]) ويضيف النعت للمشبه به معنى جديدا أطلق عليه النحاة " نعتاً تأسيساً، "أو: مؤسِّساً" وهو الذي يدل على معنى جديد لا يفهم من الجملة بغير وجوده"([2]) وفي قوله تعالى :" وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ "([3])

فالخشب(المشبه به) في الآية تخلو من أية فائدة , نحو صناعة أبواب ونوافذ, لما فيها من الحسن والزخرف والجمال, ولكن مجيء النعت(مسندة) جعل الخشب يخلو من الفائدة و الجمال , "فشبهوا في استنادهم- وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير- بالخشب المسندة إلى الحائط ولأنّ الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع. ويجوز أن يراد بالخشب المسندة: الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان، شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم".([4])

وأكد النحاة على العلاقة العضوية بين النعت والمشبه به ، كما في قول سيبويه "فأما النَّعت الذي جرى على المنعوت فقولك: مررتُ برجُلٍ ظَرِيفٍ قَبْلُ، فصار النعتُ مّجروراً مثلَ المنعوت لأنّهما كالاسم الواحدِ، وإنما صارا كالاسم الواحد " من قِبَلِ أنَّك لم تُرِدِ الواحدَ من

---

[1] . صبرة ، محمد عويس جمعة : دور النعت في تماسك النص القرآني . مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية .السنة السابعة ، ع 14 ، ص 454

[2] . حسن ، عباس : النحو الوافي . ص456

[3] . المنافقون: 4

[4] . الزمخشري : الكشاف . ج4 ، ص540

الرجال الَّذين كل واحدٍ منهم رجُلٌ، ولكنَّك أردت الواحدَ من الرجال الَّذين كلٌّ واحد منهم رجُلٌ ظريفٌ"([1])

يميز سيبويه بين القول (مررت برجل) والقول (مررت برجل ظريف) ، ففي الحالة الأولى الرجل نكرة مبهمة لا أهمية لتحديدها أو تخصيصها، أما الحالة الثانية فالتخصيص هو الغاية وهو محور الإخبار، فالمتكلم في الحالة الثانية هدفه الإبلاغ عن حالة أو صفة الظرافة التي وجدت في الرجل، وأن القيمة ليست للقاء فحسب، وإنما للقاء رجل يوصف بأنه ظريف، ولا انفصال بين النعت والمنعوت، فالقيمة الخبرية تتحقق بكليهما (الرجل، الظريف) ولهذا فهما اسم واحد، فتعلق النعت بالمنعوت وتبعه، وبهذا المعنى يبدو أن سيبويه يثير شيئا من فلسفة النحو والإعراب ، ويتحدث عن ارتباط النحو بالدلالة، ويفتح الباب واسعا أمام تساؤلات حول أهمية دراسة الظاهرة الإعرابية من زاوية تتعدى العامل والعلة.

ويعزز ما تقدم قول ابن يعيش إن " النعت والمنعوت كالشيء الواحد، فصار ما يلحَق الاسم يلحق النعتَ. وإنَّما قلنا: إنّهما كالشيء الواحد من قِبَل أنّ النعت يُخْرِج المنعوتَ من نوع إلى نوع أخصَّ منه، فالنعتُ والمنعوت بمنزلةِ نوع أخصَّ من نوع المنعوت وحده، فالنعتُ والمنعوت بمنزلة إنسان، والمنعوتُ وحدَه بمنزلةٍ حَيَوان، فكما أنّ إنسانًا أخصَّ من حيوان، كذلك النعتُ والمنعوت أخصُّ من المنعوت وحده.([2])

---

[1] . سيبويه ، عمرو بن عثمان : الكتاب . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1988 ، ج1 ، ص422

[2] . ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري . تقديم : إميل بديع يعقوب . ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2001 ، ج 2، ص 244

يصل الارتباط بين النعت والمنعوت إلى مستوى عال من التلاحم والتماسك والتكامل, وكأن الاثنين شيء واحد ، كل منهما يكمل الآخر , وذلك من الناحية النحوية والمعنوية ,فعندما يقدم النعت لاسم ما فهذا الاسم يكتسب وضوحاُ وتخصيصاُ ويصبح أكثر ظهورا للمتلقي , وكأن العلاقة بينهما متجاذبة لا انعزال بينها حتى يتم طرح المراد مما يعنيه النص , فإذا أتى الاسم عاما يفتقر في بعض الأحيان إلى توجيه الإفهام إلى الشيء المراد إيصاله عبر النص , فيأتي النعت كاشفا عن سمة من سمات الاسم المذكور، ليكون مخصصاُ وموضحاُ وموجهاً لفهم النص . وأهمية النعت بمنزلة أهمية الروح للجسد , فلا يحدث تفاعل حقيقي إذا غاب النعت عن المنعوت , أو غاب المنعوت عن النعت , ويتمثل التلاحم بينهما في أن النعت يبث الحياة في المنعوت , لكون المنعوت اسماً وله كثير من الصفات العمومية فيأتي النعت مخصصاً , أي أن النعت ينقل المعنى من العام إلى الخاص ومن الغموض إلى الوضوح , ومن التنكير إلى التعريف , ومثال قوله تعالى " يوم يكون الناس كالفراش المبثوث "([1]) لو توقف النص عند كلمة الفراش , فالفراش له صفات كثيرة كالجمال واللون والحركة وغيرها , فيصبح النص لا توجيه له وكأن المراد من النص قد ضاع , وعندما أتت كلمة المبثوث قدمت إحياء النص، فأرسلت فيه الحياة والقدرة على فهم المراد . ويرى بعض المحدثين أن المطابقة – من حيث الإعراب والعدد والنوع والتعريف أو التنكير –بين النعت ومنعوته إشارة إلى تلك العلاقة القوية بحيث يصيران كالاسم الواحد فمن صور هذه المطابقة _مثلا_ المطابقة في التعريف .([2])

---

[1] . القارعة 4

[2] . صبرة ، محمد عويس جمعة : دور النعت في تماسك النص القرآني. ص 452

الموقع الإعرابي للمشبه به:

يعد تحديد الموقع الإعرابي للمشبه به الذي اهتم به البلاغيون القدماء ، وحذا حذوهم معظم المحدثين والمعاصرين جهدا مبتورا ، لأنهم اكتفوا بتحديد الموقع الإعرابي للمشبه به ، ولم يتحدثوا – فيما أعلم– عن القيمة الدلالية أو الفنية للموقع الإعرابي للمشبه به . وسأعرض ما قاله البلاغيون عن الموقع الإعرابي للمشبه به ، وشواهد من القرآن الكريم مختارة من النماذج التطبيقية التي سترد في الفصل الثاني بهدف الموازنة بين جدوى تحديد الموقع الإعرابي للمشبه به ، وفائدة دراسة نعت المشبه به ، والمسألتان تندرجان في علاقة المشبه به بالنحو.

يقول البلاغيون القدماء : يقع المشبه به خبراً عن المشبه كما في قوله تعالى : (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)(1)(كالفراش جار ومجرور في محل نصب خبر يكون) و يقع المشبه به حالاً من المشبه كما في قوله تعالى "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم"(2) (كالعرجون في محل نصب حال). ويضاف المشبه به للمشبه(3)، كقوله تعالى "كأمثال اللؤلؤ المكنون" (4) وأزعم أن تحديد الموقع الإعرابي يخلو من فائدة ، أما معاينة نعت المشبه به فيكشف عن شبكات دلالية بين النعت والمشبه به ، وبين النعت والمشبه ، وبين النعت والسياق العام للتشبيه كما سيتبين في الفصلين الثاني والثالث.

البعد النفسي في نعت المشبه به:

---

[1] . القارعة: 4

[2] . يس: 39

[3] . هلال، أحمد هنداوي: أدوات التشبيه في لسان العرب لابن منظور. ص19

[4]. الواقعة: 23

تهدف الصورة التشبيهية إلى التأثير والإثارة لدى المتلقي الذي تتضاعف يقظته للمعنى الناجم عن النسيج اللغوي للتشبيه ، إذ إن العلاقات اللغوية للتشبيه تتجاوز دلالتها المألوفة إلى علاقات دلالية جديدة في قالب فني يثير مخيلة القارئ ،ويحفزه لتلقي معنى جديدا لا تستطيع اللغة المعيارية النهوض به .

ولا يقتصر التشبيه على الوظيفة الإخبارية ، وإنما يضيف لها وظيفة جمالية نفسية تحقق المراد من الصورة التشبيهية . ولو تأملنا قوله تعالى : "فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (51) ([1]) لوجدنا أن التشبيه يؤدي وظيفتين إخبارية وجمالية نفسية ؛ أما الوظيفة الإخبارية فهي تصوير هيئة المعرضين عن التذكرة(القرآن الكريم) بالحمر الوحشية التي تهرب من القسورة(الأسد أو جماعة الرماة) . أما الوظيفة النفسية للتشبيه فتتجسد بسرعة إعراضهم وهروبهم لكيلا يسمعوا القرآن الكريم . ومن اليسير على المتلقي أن يتخيل مشهد إعراضهم وهروبهم مشبها بهروب الحمر الوحشية حينما تسمع زئير الأسد أو تشعر بخطر الرماة ، وهي صورة متخيلة تثير السخرية من حال المعرضين عن التذكرة. فالآية التي ورد فيها التشبيه لا تقتصر وظيفتها على الإخبار عن الإعراض عن سماع القرآن الكريم ، وإنما تضيف مشهدا تصويريا حركيا مشبعا بالتوبيخ والسخرية . ولا يخلو حال المشبه من الحركة ، لأن "المعرضين" من الفعل (أعرض) عن الشيء إذا ولاَّه ظهره.([2])، فالحركة في المشبه مألوفة وبطيئة ؛لأن الذي يُعرض أو يصد عن الاستماع يدير ظهره مبتعدا منصرفا . ولكن حركة المعرضين عن الاستماع للقرآن الكريم في

---

[1] المدثر

[2] . لسان العرب : عرض

المشبه به حركة سريعة تثير السخرية من المعرضين . ويتحقق التغير والتسارع في الحركة في التشبيه بوساطة النعت (مستنفرة ، وفرّت من قسورة) .

وهو مشهد عنيف الحركة. مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون حين يخافون .... لا لأنهم خائفون مهددون بل لأن مذكرا يذكرهم بربهم وبمصيرهم، ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك الموقف الزري المهين، وذلك المصير العصيب الأليم؟! إنها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد وتسجله في صلب الكون، تتملاه النفوس، فتخجل وتستنكف أن تكون فيه، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل، ويطامنون من الإعراض والنفار، مخافة هذا التصوير الحي العنيف! تلك هيئتهم الخارجية.([1])

ويتضمن السياق الذي ورد فيه المشبه(الضمير في كأنهم العائد على المعرضين عن التذكرة) استفهاما (فما) يفيد الإنكار والتعجب ، فالقرآن الكريم يُنكر عليهم إعراضهم ، ويتعجب من سببه . أما السخرية والتوبيخ في التشبيه فجاءت من النعت المفرد (مُسْتَنْفِرَةٌ)، والنعت المركب (فرت من قسورة) ، وكلا النعتين يشكلان صورة المشبه به.

والتشبيه في القرآن يهدف إلى التأثير في العاطفة من ترغيب وترهيب, وله دور كبير في التأثير على النفس,والقرآن يؤلف بينهما في صورة معبرة ,والتشبيه له دور في حث النفس على الإنفاق في سبيل الله,وتفاعلها مع الجو الداخلي عند الإنسان,فحين يرى أن الأجر مضاعف بلا حدود فيدفعه نفسياً إلى البذل والعطاء.والعلاقة بين المشبه والمشبه به علاقة نفسية ؛لأن المشبه معروف على مستوى المتكلم والمخاطب,أما المشبه به فليس معروفاً لدى

1 . سيد، قطب : في ظلال القرآن. ج 6 ، ص 3762

السامع معرفة واضحة.([1]) كما في قوله تعالى : ((وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير))([2])

جعل القرآن الكريم النفس والحس محوراً للتشبيه,وجعل الحظ الأوفى والنصيب الأكبر للنفس, لذا كان الغرض من التشبيه في القرآن الكريم هو إثارة الوجدان والتأثير في النفس,فهو يعمد إلى رسم صورة فنية للمشبه به توضح الغرض الذي سيق من أجله التشبيه.([3])

لا يحدث اللفظ المجرد في النفس ما تحدثه الصورة من تأثير، لأنه يقرّر المعنى بأسلوب مباشر مألوف، بينما الصورة فإنّها تثير شوقا لدى الإنسان لمعرفة هذا التعبير غير المباشر. وهذا الشوق لديه، يدفعه إلى إعمال الفكر، وبذل الجهد لمعرفة المقصود، وبذلك تتحقق له متعة اكتشاف المعنى المستور.([4]) يقول عبد القاهر: "ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف".([5])

---

1. ينظر :الجيوسي,عبد الله محمد: التعبير القرآني والدلالة النفسية.ط1,دار النفائس ,الأردن ,عمان ,2006, 379-387

2 . البقرة . 265

[3] . جيني,عبد الحكيم أحمد:التشبيه القرآني ودوره في تصوير حال الكافرين.العدد6,جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم,2013، ص93

[4] . الراغب,عبد السلام أحمد: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم. ص418

[5]. الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة . ص139

"للتشبيه تأثير نفسي يضاعف اليقظة ويعمق الإحساس تجاه المعنى ، وينقل المتلقي من مستوى دلالي مسطح مألوف إلى مستوى دلالي تتعالق فيه الدلالة مع المشاعر في فضاء تخيلي يفتح نوافذ دلالية للنص لا تقدر على فتحها اللغة المألوفة.

إن الصورة التشبيهية في القرآن الكريم لم تتوقف عند حد الصورة المادية الحسية للشبه بين الأشياء, وإنما تجاوزتها إلى الصورة النفسية, و أضفت عليها الصورة التشخيصية والحركية المتجددة "فانقلب المعنى الذهني إلى حركة أو هيئة, وتجسمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد، وليس هذا فحسب بل يبرز جمال التشبيه القرآني ما فيه من إبداع في العرض, وجمال في التنسيق, وروعة في النظم والتأليف، وجرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها([1])"

ففي قوله تعالى : "وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون"([2]) تتشابه دلالة الحورية مع دلالة المرأة من جهات متعددة، فالطرفان مستوران مخفيان، ولو نظرنا إلى اللون الأصفر المشوب بالبياض فهو صفة جمالية عند العرب ,"وتقول العرب اذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة :كأنه بيض النعام المغطى بالريش .وقيل:المكنون المصون عن الكسر,أي إنهن عذارى .وقيل :المراد بالبيض اللؤلؤ كقوله تعالى"وحور عين كأمثال اللؤلؤ

---

[1] .قاسم، محمد محمود صالح: التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم. رسالة دكتوراة، إشراف الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي، جامعة اليرموك، 2002، ص194

[2]. الصافات :48_49

المكنون" أي: في أصدافه"([1]) فكلمة مكنون هي محور الدلالة وهي التي يتوقف عليها تماثل الشبه الجمالي، ويلاحظ هنا أنها حملت تنوعا جماليا بين الجانب المادي والجانب الروحي.

وفي قوله تعالى "يوم يكون الناس كالفراش المبثوث"([2]) فالفراش غالبا ما يكون منتشرا متباعدا ، ونلمح هذا عند اقترابه من النار . وهو يمثل الخوف والفزع والاضطراب ,وهذا هو مشهد البعث والقيامة, يكون الناس في حالة عدم اتزان وهلع منتشرين متفرقين.

العلاقة التجاورية بين المشبه به والنعت:

يتيح التجاور بين النعت والمشبه به تأمل العلاقة بينهما وفق المحور الأفقي في الدراسة الأسلوبية " فالكلمة خارج التأليف محايدة حيادا تاما في حين أنها داخل التأليف تشكل وضعا فضائيا، وتخضع لطبيعة العلاقات المتولدة عن هذا الوضع. ومن ثم فإن قيمتها تكون نتاج هذا الوضع ومتولدة عنه، وليست نتاج خصائص ذاتية " ([3]) ويعني المحور الأفقي الانسجام بين الألفاظ المتجاورة التي تشكل التركيب اللغوي ،أو الألفاظ المتقاربة في مواضعها في النص ، إذ إن التجاور أو التقارب بين الألفاظ يستدعي اختيار كلمة دون غيرها بسبب التجاذب الدلالي بين الألفاظ " ([4]) وهذا يعلل وجود لفظ دون آخر، ويحدد لنا العلاقة الخفية بين الألفاظ المتجاورة التي تظهر أهمية الاختيار اللغوي في أداء المعاني المقصودة.

---

[1] . القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد : الجامع ألحكام القرآن . ط2 ، دار الكتب المصرية ،القاهرة ، 1964م ، 2م، ج11،ص49

[2] . القارعة :4

[3] . طارق النعمان: اللفظ والمعنى بين الأيدولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة، 2003، ص75

[4] . عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ص327

وستعتمد الباحثة على التجاور بين النعت والمشبه به لبيان العلاقات الدلالية بينهما اعتمادا على البنية المعجمية لمادتي النعت والمشبه به.

لا ينبغي أن نحصر نظرتنا في جزء ضيق من الآيات التي تتضمن نعتا للمشبه به ، فعندما نريد أن نقدر جمال لوحة مرسومة يجب أن نرجع قليلا إلى الوراء ليتسع مجال الرؤية، وتحيط بالكل في نظرة شاملة تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء والتوافق في التركيب، فبمثل هذه النظرة ينبغي دراسة كل سورة من سور القرآن الكريم لنقدر أبعادها الحقيقية ([1]) فالرجوع إلى الوراء في تأمل جمال اللوحة يناظر الرجوع إلى المعجم لبيان العلاقة الدلالية بين النعت والمشبه به.

يمكن المقاربة بين التلاحم الدلالي الناجم عن تجاور المفردات بالانسجام في العلاقات الاجتماعية ، إذن إن المعاني المشتركة بين الألفاظ المتجاورة تناظر القواسم المشتركة بين شريحة من الناس في العلاقات الاجتماعية ، وعطفا على هذه المقاربة ينبغي "مراعاة أحوال التأليف بين الألفاظ المفردة والجمل المركبة حتى تكون أجزاء الكلام متلائمة آخذا بعضها بأعناق بعض، وعند ذلك يقوى الارتباط ويصفو جوهر نظام التأليف ويصير حاله بمنزلة البناء المحكم المرصوص المتلائم الأجزاء أو كالعقد من الدر فصلت أسماطه بالجواهر واللآلىء" ([2])

وتتجاوز العلاقات الدلالية الناجمة عن التجاور بين النعت والمشبه به إلى علاقات دلالية تتصل بعناصر المشبه ، فالكلمة جزء متصل من آية والآية متصلة بالآيات السابقة

---

[1] . ينظر : دراز ، محمد عبد الله: مدخل إلى القرآن الكريم- عرض تاريخي وتحليل مقارن. ترجمة: محمد عبد العظيم علي. مراجعة: السيد محمد بدوي، دار القلم، الكويت، 1984، ص119.

[2] . العلوي، يحيى بن حمزة: الطراز. ج2، ص120.

والآيات اللاحقة وهذا يدل على التجاذب الدلالي بين آيات القران الكريم ،"وعلى هذا فإن القرآن في ألفاظه وعباراته وآياته على الغاية القصوى من الترابط والإحكام والتماسك وذلك فيما بين اللفظة والتي تليها، وفيما بين الآية وما يعقبها من آية. وليس أدل على ذلك من أن الكلمة في القرآن حيثما كانت إنما هي في موضعها المناسب من العبارة أو الآية أو السورة"([1]).

يحتاج بيان العلاقات الدلالية للتجاور بين النعت والمشبه به إلى السياق غير اللغوي في بعض المواضع ، نحو أسباب النزول ، "ومما يبعث على معرفة الإعجاز اختلافات المقامات وذكّر في كل موضع ما يلائمه، ووضع الألفاظ في كل موضع ما يليق به، وإن كانت مترادفة، حتى لو أبدل واحد منها بالآخر ذهبت تلك الطلاوة وفاتت تلك الحلاوة"([2])

العلاقات الدلالية بين المشبه به والنعت المفرد:

1- الكثرة والانتشار

قال تعالى : "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5)" تدل كلمة الفراش في الآية على الكثرة , فالفراش ينتشر في كل مكان, والنعت (المبثوث) يدل على الانتشار , فالمبثوث هو المتفرق المتناثر , وتبين الآية حالة الناس يوم القيامة ,فتشبههم بالفراش المبثوث الحائر المتفرق الذي لا يعرف أين

---

[1] . عباس ، أمير: الإعجاز القرآني- التبيان- التكوّن- القراءة، مدخل لنظرية معرفية في نشوء الكون ونظام الكائنات. دار أسامة، عمان، 2002،ص 89

[2] . الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الجيل، بيروت، 1988، ج2، ص118

يذهب,وتدل كلمة العهن في الآية التي تليها على الكثرة , والمنفوش يدل على بعد بعضه عن بعض .

قال تعالى :" خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ"([1])

الجراد يدل على الكثرة وشبه الناس يوم البعث وخروجهم من القبور بالجراد المنتشر , والمنتشر تدل على الكثرة والذهاب إلى الجهة المقصودة وهو الحساب .

2- الهلاك والدمار

قال تعالى :"تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ"([2])

تدل أعجاز نخل على الهلاك الذي حصل لقوم عاد بالريح العاصفة التي لم تمهلهم, والنعت (منقعر) يدل على الدمار الناجم عن الريح .

قال تعالى :"سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ".([3]) وضحت هذه الآية العذاب الذي حل بقوم عاد الذين أهلكوا بريح باردة شديدة, سلطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة, لا تفتر ولا تنقطع, فترى القوم في تلك الليالي والأيام موتى كأنهم أصول نخل خربة متآكلة الأجواف, وهذه الآية تبين حجم الدمار والهلاك الذي تعرض له الكافرون العاصون لأوامر الله .

قال تعالى :" فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ".([4])

---

[1] . القمر: 7

[2] . القمر :20

[3] .سورة الحاقة : 7

[4] .سورة الفيل :5

تتحدث الآية عن أصحاب الفيل الذين توجهوا إلى هدم الكعبة , وما آل إليه حال أصحاب الفيل ومصيرهم , فالعصف تدل على الهلاك , ومأكول تدل على الدمار, وجعل العصف مأكول صفه هامه لتدل على مدى سوء حالة أصحاب الفيل بعد أن رمتهم الطير بحجارة من سجيل .يدل لفظ العصف في الآية على البعد النفسي للدلالة, إذ إن المتلقي يتفاعل مع الوقع الصوتي الدلالي للآية فينجم شعور بالخوف والرهبة .

3- الكثرة والتعظيم

قال تعالى: "فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم"([1]) تعني كلمة الطود الجبل العظيم , تدل هذه الآية على معجزة سيدنا موسى , عندما كان يلاحقه فرعون وجنوده , فطلب الله تعالى من موسى ضرب البحر بالعصا فانفلق البحر وأصبح كل فرق كالجبل العظيم , وهذا يدل على قدرة الله تعالى واستشعار عظمته وقوته .

4-الدلالة اللونية

قال تعالى "كأنهن بيض مكنون"(49) ([2])

تصف الآية حوريات الجنة التي تتصف باللون الأبيض الذي يشوبه القليل من الصفرة واللمعان , وهذا اللون محمود عند العرب .

---

[1] . الشعراء، 63

[2] . الصافات:49

الثنائيات الدلالية بين المشبه به والنعت المركب:

تمثل الثنائيات المظهر الحقيقي للبناء الكوني، وهو التمثيل الطبيعي للحياة، فهناك جنة ونار، وخير وشر، وليل ونهار، وحب وكره، وصدق وكذب، وأبيض وأسود.

1-التحول من القلة إلى الكثرة

قال تعالى: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلةٍ مائة حبةٍ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم"([1])

الحبة قليل ومكونات النعت كثيرة، وهذا يتفق مع الدلالة المقصودة التي تعني دفع القليل للحصول على الكثرة، ويثير هذا التحول ذهن المتلقي ، ويعزز البواعث الإيمانية للإنفاق الذي يعد ركيزة في التكافل الاجتماعي ..

2- التحول من الإجمال إلى التفصيل

قوله تعالى: " ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّةٍ بربوةٍ أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير([2])

فالجنة وصف مجمل ومكونات النعت تفصيل، فهذه الجنة بربوة، مكان مرتفع، وفيه تراب ومواجهة للشمس، وتتصاعد حدة النماء، حينما يأتي المطر الشديد، فيتضاعف الخير، أو ندى ينعش الثمر ويجعلها أكثر نضارة، وكل هذه التفصيلات تشي برسائل تحفيزية للإقبال على الخير والإنفاق في سبيل الله.

---

[1] . البقرة : 261

[2] . البقرة : 265

ويتجلى التحول من الإجمال إلى التفصيل في قوله تعالى : " أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ" ([1])، فالظلمات مجملة لكنها تتصل بتفاصيل متعددة، فهي ظلمات متراكمة ؛ ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب، وهذا التعدد والتنوع يرسم صورة قاتمة منفرة لأعمال الكافرين الذين يراكمون الشرور، وتبعث برسالة جوهرها الخوف من العاقبة ، وتجنب سلوك الكافرين.

وتشتمل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة على دلالات مجملة في قوله تعالى :: " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ(24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) "([2])

تختزل كلمة (طيبة) دلالة عامة ،وتتحول الدلالة العامة إلى عناقيد دلالية تفصيلية بوساطة التراكيب التي تتلو كلمة (طيبة) ؛ فالشجرة ثابتة وراسخة، دائمة العطاء، مفعولها ممتد . وكذلك النعت (خبيثة) يختزل دلالات الخبث التي تنفر منها النفس الإنسانية، وتضيف التراكيب بعد كلمة (خبيثة) دلالات أخرى ترسم صورة أكثر تنفيرا من دلالة (خبيثة).

---

[1] . النور : 40

[2] . إبراهيم : 24_26

قال تعالى:- ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُور))([1])

فالغيث(المشبه به) حياة، ومكونات النعت موت وفناء. ويحذر هذا التحول من الغرور بالمظاهر الزائلة، وتجنب الركون إلى البريق واللمعان، فهو إلى ذهاب، والشيء ينتهي إلى ضده، فالحياة إلى موت والقوة إلى ضعف، وكل شيء إلى فناء.

قال تعالى: "مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صرّ أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون"([2])

يمثل المشبه به(ريح) معنى مجملا ، وتمثل مكونات النعت تفصيلا لمشهد الريح .

3-التحول من السكون إلى الحركة

قال تعالى: مثل الذين كفروا بربّهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصفٍ لا يقدرون مما كسبوا على شيءٍ ذلك هو الضلال البعيد"([3])

فالرماد (المشبه به) ساكن، ومكونات النعت متحركة، وأسهم التحول من السكون إلى الحركة في رسم صورة مستمدة من البيئة الحسية التي تضاعف الفهم والإدراك ، وتحقق العبرة والموعظة لتجنب سلوك الكافرين .

4- التحول من الغموض إلى الإيضاح

---

[1] . الحديد : 20

[2] . سورة آل عمران، آية: 117

[3] . إبراهيم : 18

قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوانٍ عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين"([1])

تتسم دلالة المشبه به (صفوان) بالغموض ، إذ إن تشبيه الذي ينفق ماله رياء بالصفوان (الحجر) لا يُظهر وجه الشبه بين المشبه والمشبه به ، ولهذا جاءت تراكيب النعت التالية للفظ المشبه به توضيحا وتفصيلا لصورة المشبه به ،" فالمرائي يشبه صورة الزارع على صخرة صلدة ملساء، عليها تراب رقيق، وهو رمز للرياء المبطل للأعمال، فينزل المطر من السماء فيجرف هذه الطبقة الرقيقة من على الصخرة وما زرع فيها، لينكشف الصفوان حجرا صلدا غير قابل لامتصاص رحمة السماء، والحجر الصلد، هو قلب المرائي في قسوته، وعدم صلاحيته لامتصاص الخير، لهذا فإنّ إنفاق المرائي ضائع، كما يضيع الغيث الهاطل، فوق الصخر الأصم. وتعاقب الفاءات في التعبير «فمثله، فأصابه، فتركه» يوحي بسرعة إحباط هذا الإنفاق، وتلاشيه دون أن يمكث ولو وقتا قصيرا"([2])

الصورة الحسية لنعت المشبه به بين الضيق والاتساع:

أسهب البلاغيون في الحديث عن التشبيه الحسي والتشبيه العقلي. ولم يتحدثوا عن الدلالة الحسية لنعت المشبه به – فيما أعلم- . وستعرض الباحثة لما نص عليه البلاغيون

---

[1] . البقرة : 264

[2] . الراغب ,عبد السلام أحمد: وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص158

في التشبيه الحسي والعقلي ، ثم تعرض للصورة الحسية الضيقة حينما يكون النعت مفردا ، والصورة الحسية المتسعة حينما يكون النعت مركبا.

المراد بالحسي ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، ومعنى هذا أن يكون الطرفان من المبصرات أو المسموعات أو المذوقات أو المشمومات أو الملموسات، ويأتي الطرفان عقليين: والمراد بالطرفين العقليين أنهما لا يدركان بالحس بل بالعقل كتشبيه العلم بالحياة والجهل بالموت، ويأتي الطرفان مختلفين: وذلك بأن يكون أحدهما عقلياً والآخر حسياً كتشبيه المنيّة بالسبع والمعقول هو المشبه والمحسوس هو المشبه به([1])

وذكر صاحب خزانة الأدب وغاية الأرب أمثلة على كل نوع منهما حيث يرى أن "الذي تقع عليه الحاسة في التشبيه أوضح مما لا تقع عليه الحاسة والشاهد أوضح من الغائب([2])" فالتشبيه الحسي عنده أبلغ من التشبيه العقلي وأحسن وأوضح، ومن الأمثلة على تشبيه الحسيان قوله تعالى: " والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم".([3])

تتحقق الإثارة في كلا التشبيهين ,ولكن تفضيل أحدهما على الآخر أمر نسبي ,اذ يكون التأثير على المتلقي حسب الموقف والسياق ، فبعض التشبيهات الحسية مثيرة وبعض العقلية مثيرة والموقف هو المحدد, فلكل مقام مقال. وتعتمد الباحثة على رؤية عمر عتيق في هذا الأمر أن جمال التشبيه لا يرتبط بكونه حسيا أو عقليا ، وإنما يرتبط بالتناسب بين المشبه والمشبه به من جهة ، وبقدرة التشبيه على التأثير على المتلقي من جهة أخرى ، لأن الثراء الفني للصورة التشبيهية لا يتوقف على الصفات الحسية، كذلك لا يتوقف الفقر الفني للصورة

---

[1] . ينظر : عتيق، عبد العزيز: علم البيان. ص66

[2] . ابن حجة الحموي، تقي الدين: خزانة الأدب وغاية الأرب. ط1، دار الهلال، بيروت، شرح عصام شعيتو، ج1، 1987، ص385

[3] . يس : 39

على الصفات العقلية، فالفن لا يعترف بهوية طرفي التشبيه؛ لأن التجانس والتناغم الفني بين الطرفين هو الرحم الذي يتخلق فيه الجمال الفني .([1])

ويأتي طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) عقليين . والمراد بالطرفين العقليين أنهما لا يدركان بالحس بل بالعقل، وذلك كتشبيه العلم بالحياة، والجهل بالموت، فقد شبه هنا معقول بمعقول، أي أن كلا منهما لا يدرك إلا بالعقل. ويأتي الطرفان مختلفين وذلك بأن يكون أحدهما عقليا والآخر حسيّا، كتشبيه المنيّة بالسبع، والمعقول هو المشبه، والمحسوس هو المشبه به، وكتشبيه العطر بالخلق الكريم، فالمشبه وهو العطر محسوس بالشم، والمشبه به وهو الخلق عقليّ.([2])

يتبين مما تقدم أن نعت المشبه به ليس له نصيب في كلام البلاغيين من حيث الدلالة الحسية ، لأن البلاغيين قصروا اهتمامهم على طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) ، لذا تجتهد الباحثة في بيان تأثير الدلالة الحسية لنعت المشبه به تحقيقا للتكامل التركيبي بين المشبه به والنعت .

تتصف الصورة الحسية لنعت المشبه به المفرد بالضيق ، لأنها كلمة واحدة ، نحو قوله تعالى:" خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ"([3]) فالنعت (منتشر) صورة حسية بصرية مفردة ضيقة لا تتجاوز تخيل الناس يوم القيامة وهم يخرجون من القبور ينتشرون في كل مكان كالجراد ، ومن المعلوم أن الجراد لا يأتي بأعداد قليلة ، وإنما يأتي أسرابا. أما الصورة الحسية لنعت المشبه به المركب فتتصف بالاتساع والتمدد ، نحو قوله

---

[1] . ينظر : عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ط1 ، دار أسامة ، عمان الأردن ، 2012 ،ص81 ، 82

[2] . ينظر : عتيق ، عبد العزيز : علم البيان . ص 68

[3] . القمر: 7

تعالى : "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلةٍ مائة حبةٍ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم"([1]) تبدأ الصورة الحسية البصرية بالتشكل من النعت الأول (أنبتت سبع سنابل) الذي يثير الدهشة في تخيل حبة قمح واحدة تنبت سبع سنابل ، ويجد المتلقي نفسه متأملا خاشعا مسبحا بقدرة الله . وتتسع الصورة الحسية في النعت الثاني (في كلّ سنبلةٍ مائة حبةٍ) الذي يضاعف يقظة المتلقي لمعنى الصورة الحسية حينما تتحول السنبلة الواحدة إلى مئة حبة . وتأتي الصورة الحسية لنعت المشبه به أكثر اتساعا وامتدادا في بعض الآيات التي تكفل الفصل الثالث بتحليلها

---

[1] . البقرة: 261

الفصل الثاني: النعت المفرد للمشبه به

المبحث الأول: نعت الظواهر الكونية

المبحث الثاني: نعت مشاهد العذاب الدنيوي

المبحث الثالث: نعت يوم القيامة ومشاهد الجنة والنار

المبحث الأول :نعت الظواهر الكونية

الظواهر الكونية والطبيعية هي آيات من الله تعالى, نعيش معها نراها ونردد أسماءها كثيراً, فمنها: الكون والأجرام السماوية, والنجوم, والشمس, والقمر, والكواكب, والشهب, والنيازك, والمذنبات, والأرض,والبحار, والمحيطات, والماء, والبرق, والرعد, والسحب, والقارات, والجبال وغيرها. ودعانا الله تعالى في كتابه العزيز إلى التفكر والتدبر في الظواهر الكونية في السماوات والأرض حيث يقول: " أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيءٍ "([1])، وقال: " أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا "([2])، وغيرها كثير من الآيات التي تحث الإنسان على التفكر في مخلوقات الله تعالى في السماء والأرض والتفكر والتدبر في خلقه .

تدل آيات كثيرة في القرآن على الظواهر الكونية فمنها: آيات تأمر الإنسان بالسير في الأرض، والتدبر في كيفية بدء الخلق، وآيات تشير إلى شكل الأرض وحركاتها وأصلها ، وآية تؤكد أن الحديد في كوكب الأرض قد أنزل إليها من السماء، وآية تؤكد على حقيقة أن الأرض ذات صدع وهي من الصفات الأساسية لكوكبنا، وآيات تتحدث عن الظواهر البحرية الهامة مثل ظلمات البحار والمحيطات، وآيات تتحدث عن الجبال، وآيات تشير إلى نشأة كل من الغلافين المائي والهوائي للأرض، وآيات تشير إلى رقة الغلاف الصخري للأرض، وآيات تؤكد على إسكان ماء المطر في الأرض مما يشير إلى دورة المياه حول الأرض وفي داخل صخورها،

---

[1] . سورة الأعراف، آية 15

[2] . سورة ق، آية6

وآيات تؤكد على أن عملية الخلق قد تمت على مراحل متعاقبة عبر فترات زمنية طويلة، وآيات تصف نهاية كل من الأرض والسماوات وما فيهما أي الكون كله([1])

نشاهد الرعد والبرق في فصل الشتاء ، وهما مرتبطان معاً، فالغيوم الرعدية دائماً ينتج عنها البرق، ويحتاج حدوث البرق "لغيوم كثيفة وثقيلة تزن ملايين الأطنان ولذلك فقد ربط البيان الإلهي بين السحاب الثقال والبرق ([2]) , فقال :"هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال"([3])"

منازل القمر:

كان للعرب في الجاهلية معرفة غير قليلة للفلك والنجوم ، وكانوا يهتدون بها في أعمالهم وسيرهم وترحالهم وحلهم وفي تقسيم الوقت وتقلّب الطبيعة، ومن ذلك أنهم عرفوا أن للقمر منازل كما أن للشمس منازل، فرصدوا نجوما ثابتة يدخل في صورها معظم كواكب النجوم ،فكانوا يستعينون لمعرفة فصول السنة, وأزمنتها بطريقة واضحة وسهلة، فوجدوا أن "ما تقطعه الشمس في جميع السنة من الفلك يقطعه القمر في ثمانية وعشرين يوماً فقسموا نجوم هذا الفلك على مقدار الأيام التي يقطعها القمر فيها . وطلبوا في كل قسم علامة تكون أبعاد ما بينها وبين العلامة التي تليها مقدار مسير القمر في يوم وسمّوا ما بين كل علامتين

---

[1] . انظر: خليل، عماد محمد إبراهيم: الظواهر الكونية والطبيعية. جامعة الزقازيق، مصر، 2006، ص7

[2]. الكحيل، عبد الدائم: ظواهر كونية بين العلم والإيمان. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، ط1، 2008، ص13

[3] . الرعد:12

منزلًا؛ فتحقق لهم بذلك ثمانٍ وعشرون منزلةً سمّوها منازل القمر، وجعلوها قسمين: أحدهما شمالي والآخر جنوبي في كل منها أربع عشرة منزلة، فالشمالي ما كان طلوعه من ناحية الشام، والجنوبي ما كان طلوعه من ناحية اليمن، وهي جميعاً مقسومة كذلك على البروج الإثني عشر، موزّعه عليها بمقدار منزلتين وثلث منزلة لكل برج منها، والمنازل للقمر كالبروج للشمس"([1])

ومن خلال دوران القمر حول نفسه وحول الأرض بالوقت نفسه يتخذ خلال دورته الشهرية تلك مراحل, ومواقع محددة بالنسبة للأرض وللشمس.وله في كل من تلك المواقع مظهر خاص يرجع إلى مقدار المساحة التي يغمرها النور من وجهه, والجزء الذي يتخذه ذلك الجزء المغمور بالنور، وهذه المظاهر تعرف بمنازل القمر أو وجوهه، و هي مراحل ظهور القمر بالنسبة للأرض، ومنازل القمر ثمانية وعشرون وهي: " بطن الحوت أو الرشاء، الشّرطان، البطين، الثريّا، الدّبران، الهقعة، الهنعة، الذّراع، النثرة، الطّرف أو الطرفة، الجبهة، الزّبرة أو الخرتان، الصّرفة، العوّاء، السّماك، الغفر، الزّباني، الإكليل، القلب، الشّولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، الفرع الأول"([2])

يتبع هذا التقسيم تقسيم العرب الجاهليين لمنازل القمر ، أما في العلم الحديث فالفلك فله تقسيم آخر وهو: 1-الهلال الأول: منزل من منازل القمر إذ يكون قد ابتعد قليلاً عن نقطة الصعود وهو في طريقه إلى سماء نصف الكرة الشمالي.

---

[1] . حمّور، عرفان محمد: المواسم وحساب الزمن عند العرب قبل الإسلام. مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2000، ص19

[2] . المرجع السابق: ص21

2- التربيع الأول في اليوم السابع من الشهر القمري.

3- الأحدب الأول: في اليوم الثامن من الشهر القمري وما بعده يزداد القسم المنار من سطح القمر كما يرى بعد غروب الشمس وهو أقرب إلى الأفق الشرقي.

4- البدر: في ليلة النصف من الشهر القمري يكون القمر قد بلغ نقطة النزول وقد غمر النور كامل وجهه ويتفق إشراقه من الأفق الشرقي مع غياب الشمس في الأفق الغربي.

5-الأحدب الثاني: ويأخذ القمر يوماً بعد يوم بالتأخر في الشروق بمقدار 50 دقيقة وسطياً كما يأخذ النور بالانحسار عن الجزء الأيسر منه.

6- التربيع الثاني :عندما يمضي من الشهر القمري 22 يوماً نجد أن النور لم يعد يغطي إلا النصف الأيمن فقط من سطح القمر.

7- الهلال الثاني: في الأيام الثلاثة التي تلي التربيع الثاني يلاحظ أن النور لم يغط إلا قسماً صغيراً من طرفه الأيمن متخذاً شكل هلال يرى في النهار, ويكون تحدّبه مساءً عند اقترابه من الأفق الغربي نحو يمين القمر.

8- المحاق : في آخر يوم من الشهر القمري يكون القمر قد بلغ نقطة الصعود وأصبح بين الأرض والشمس على استقامة واحدة وقد غمر الظلام كامل وجهه المتجه نحونا.

9- القمر الرمادي: في بداية الشهر القمري حين يكون الهلال نحيلاً ,نجده قد احتضن القسم المظلم الباقي من القمر والذي يبدو لأعيننا على شكل دائرة سوداء.([1])

هذه هي منازل القمر وهي دورة شهرية تتكرر كل 29.5 يوماً

---

[1] . موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات، المجلد الأول، الهيئة العامة لإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص248

قال تعالى "وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ "([1])

يُفضي تأمل المعنى المعجمي للفظي المشبه به (العرجون) ، والنعت (القديم) إلى الكشف عن التجاذب الدلالي الأولي بينهما ، فالعُرْجُون العِذْقُ عامَّة، وَقِيلَ: هُوَ العِذْقُ إِذا يَبس واعْوجَّ، وَقِيلَ: هُوَ أَصل العِذْق الَّذِي يعْوَجُّ وتُقْطع مِنْهُ الشَّمَارِيخُ فَيُبْقَى عَلَى النَّخْلِ يَابِسًا.([2]) ومن معاني الْعُرْجُونُ: الْعُودُ الَّذِي تُخْرِجُهُ النَّخْلَةُ فَيَكُونُ الثَّمَرُ فِي مُنْتَهَاهِ وَهُوَ الَّذِي يَبْقَى مُتَّصِلًا بِالنَّخْلَةِ بَعْدَ قَطْعِ الْكِبَاسَةِ مِنْهُ وَهِيَ مُجْتَمَعُ أَعْوَادِ التَّمْرِ.([3]) يفيد هذا المعنى المعجمي أن العرجون لا يكون مصفرا يابسا معوجا إلا بعد مرور وقت يحدده لفظ النعت (القديم) الذي يعني مرور حول(عام) حتى ينضج التمر فيتقوس العرجون ، ويصبح مصفرا يابسا . ويؤكد الزمخشري الدلالة الزمنية بين العرجون ولفظ القديم بقوله : " والقديم المحول، وإذا قدم دق وانحنى واصفر، فشبه به من ثلاثة أوجه. وقيل: أقل مدّة الموصوف بالقدم الحول. ([4])

ويزداد التجاذب الدلالي وضوحا بين المشبه به والنعت حينما نعلم أن معنى المِقْدام: ضَرْبٌ مِنَ النَّخْلِ ، هُوَ أَبكر نَخْلِ عُمان، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَقَدُّمِهَا النَّخْلَ بِالْبُلُوغِ .([5]) . ومن المعلوم أن العرجون يكون مصفرا يابسا بالتدرج الزمني وهو الوقت الذي يقتضيه نضوج التمر

---

[1] . يس : 39

[2]. لسان العرب : مادة عرج

[3]. ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الدار التونسية للنشر – تونس، 1984، ج23 ، ص22

[4]. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3 ، دار الكتاب العربي – بيروت ، 1407 هـ ، ج4 ، ص17

[5]. لسان العرب: مادة قدم

، وهذا التدرج الزمني يفيده لفظ المشبه به ، لأن معنى القُدُم: المُضيّ أَمَام أَمامَ ([1]) ، أي لا يصبح الشيء قديما إلا بالتدرج الزمني .

يشكل التجاذب الدلالي السابق بين المشبه به والنعت خلية دلالية لا يجوز الاكتفاء بها، لأن العلاقة الدلالية بين المشبه به والنعت لا تقتصر على السياق الأصغر (المشبه به والنعت) ، وإنما تقتضي ربط السياق الأصغر بالسياق الأكبر ، لأن الآية الواحدة جزء من منظومة دلالية متكاملة تتحقق بالآيات المجاورة للمشبه به والنعت . ويتطلب الربط بين السياقين المذكورين بيان التجاذب الدلالي بين لفظي المشبه به والنعت من جهة ، والآيات السابقة واللاحقة ، وهي التي يمكن أن نسميها " الحاضنة اللغوية " التي يولد منها التكامل الدلالي بين السياق الأصغر والسياق الأكبر .

وينبغي أن نتأمل الحاضنة اللغوية(السياق الأكبر) في قوله تعالى : "وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36) وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ "(40)

ويمكن رصد شبكة العلاقات الدلالية على النحو الآتي :

[1]. لسان العرب : مادة قدم

1-نسق التحول من حالة إلى حالة : يتحول عرجون النخلة من حالة الاخضرار والنضرة إلى حالة الاصفرار والانحناء ودقة الحجم بعد مرور عام (القديم)وهي المدة الزمنية التي يوصف بها العرجون بالقدم . وكذلك تتحول الأرض الجافة الميتة إلى أرض حية ينبت فيها ما يحتاجه الإنسان من غذاء يبقيه حيا . ونلاحظ أن التحول في المشهدين يشكل ثنائية ضدية ، فالأرض تتحول من الجفاف إلى الخصوبة أما العرجون فيتحول من الاخضرار إلى الجفاف والاصفرار ، ولكن دورة الزمن المعهودة تعيد العرجون مخضرا يانعا بعد عام . ولا يخفى التحول الزمني بين الليل والنهار في الآية (37) ، وكذلك تحول الشمس من حالة الشروق إلى حالة المغيب . وتحول منازل القمر من الإضاءة إلى آخر ليلة تسبق المحاق ، وهي حالة القمر التي شُبهت بالعرجون القديم .

2- نسق النظام الزمني : سبق بيان التدرج الزمني لتحول القمر إلى صورة تشبه العرجون القديم ، وهي صورة يحكمها نسق زمني دقيق ، إذ " ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، على تقدير مستو لا يتفاوت، يسير فيها كل ليلة من المستهل إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر، وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة. "([1])

ويتجلى النسق الزمني والنظام والدقة في التقدير الرباني في الظواهر الكونية التي اشتمل عليها السياق الأكبر للآيات ؛ كما في قوله تعالى :" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" و"لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" "وَالتَّقْدِيرُ: يُطْلَقُ عَلَى جَعْلِ الْأَشْيَاءِ بِقَدَرٍ وَنِظَامٍ مُحْكَمٍ، وَيُطْلَقُ عَلَى تَحْدِيدِ الْمِقْدَارِ

---

[1]. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3 ، دار الكتاب العربي – بيروت ، 1407 هـ ، ج4 ، ص16.

مِنْ شَيْءٍ تُطْلَبُ مَعْرِفَةُ مِقْدَارِهِ مِثْلُ تَقْدِيرِ الْأَوْقَاتِ وَتَقْدِيرِ الْكِمِّيَّاتِ مِنَ الْمَوْزُونَاتِ وَالْمَعْدُودَاتِ، وَكِلَا الْإِطْلَاقَيْنِ مُرَادٌ هُنَا. فَإِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ نِظَامَ سَيْرِهِمَا وَقَدَّرَ بِذَلِكَ حِسَابَ الْفُصُولِ السَّنَوِيَّةِ وَالْأَشْهُرِ وَالْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ." ([1])

3-نسق التواصل اللغوي بين دلالة لفظي المشبه به والنعت ودلالة أجزاء من السياق الأكبر . ويقتضي بيان هذا النسق الاعتماد على مشتقات مادة المشبه به (عرج \ عرجن) ، ومادة النعت (قدم) . نقول : انْعَرَج الشيءُ: مَالَ يَمْنَة ويَسْرة. وانعَرَج: انعطَف. ([2]). وتتفق دلالة (عرج) مع دلالة التحول في الظواهر الكونية التي سبق بيانها . وعَرَّج النهرَ: أَماله. والعَرَج: النَّهر ، وتتفق هذه الدلالة مع قوله تعالى : "وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ"([3]) والعُرْجون: نَبْتٌ أَبيض. والعُرْجون أَيضاً: ضَرْبٌ مِنَ الكمأَة قدْرُ شِبْرٍ أَو دُوَينُ ذَلِكَ، وَهُوَ طيّبٌ مَا دَامَ غَضّاً، وَجَمْعُهُ العَراجِينُ. العُرْجون كالقُطر يَيْبَس وَهُوَ مُسْتَدِيرٌ([4]). ويتفق ما تقدم مع قوله تعالى : " لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ" . والعَرَجُ: غَيْبُوبَةُ الشَّمْسِ، وَيُقَالُ: انعراجُها نَحْوَ الْمَغْرِبِ ،([5]) ويتفق المعنى مع قوله تعالى :" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" ومن مشتقات مادة قدم المُقَدِّم: هُوَ الَّذِي يُقَدِّم الأَشياءَ وَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا، فَمَنِ اسْتَحَقَّ التَّقديم قدَّمه. والقَدِيم، عَلَى الإِطلاق: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.([6]). ويتفق ما تقدم مع نسق التقدير الرباني ، إذن إن" الشمس تجري لمستقر لها إشارة إلى حركتها الخاصة ثم ذكر سبحانه أنه قدر القمر أيضا في منازل

---

[1]. ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج23 ، ص22

[2]. لسان العرب : مادة عرج

[3]. يس:34

[4]. لسان العرب : مادة عرجن

[5] . لسان العرب : مادة عرج

[6] . لسان العرب : مادة قدم

الشمس حتى عاد كالعرجون القديم أي رجع إلى الشكل الهلالي وذلك إنما يكون عند قربه إلى الشمس ورجوعه إليها." ([1])

لا تقتصر الأبعاد الدلالية لنعت المشبه به على الصورة الحسية الناجمة عن تشبيه القمر بالعرجون القديم ، ولا يكفي رصد شبكة العلاقات الدلالية بين السياقين الأصغر والأكبر ، لأن الخطاب القرآني لا يهدف إلى تصوير أنساق التحولات في المظاهر الكونية وحسب ، وإنما يهدف إلى التأثير النفسي والوجداني لدى المتلقي الذي ينبغي أن يتنبه إلى قدرة الله عز وجل ، ويستشعر عظمته لكي ينمو تفكيره وتسمو نفسه وتشرق روحه ،"فصورة القمر تثير في النفس المشاعر نفسها التي يثيرها العرجون القديم، من حيث النمو والتحوّل، ثم الزوال والعدم والتناسب في الشكل ملحوظ في هذا النمو والتحوّل بين طرفي التشبيه، كما أن التناسب النفسي ملحوظ أيضا في نمو المشاعر الإنسانية وتطورها، بحسب كل مرحلة لهما، وتبقى هناك وراء هذه الصورة الحسية، دلالة دينية. تلقي بها هذه الصورة في مخيلة القارئ. وهي أن صورة الإنسان في هذه الحياة تشبه هذه الصورة الحسية، في الكون والنبات في نموّها وتحوّلها من الضياء والعطاء إلى الأفول والزوال." ([2]) فصورة القمر والعرجون تؤثر على المتلقي ، إذ إن القمر ينمو ويتحول من هلال إلى بدر ومن ثم يعود إلى هلال ,والعرجون يكون في حالة نمو وتحول ومن ثم يرجع وينحني ويتقوس كما يتقوس البدر ويصبح هلالا ، والصورتان تتصفان بالتحول ومن ثم الزوال والفناء ,وطرفا التشبيه في هذه الصورة حسيان

---

[1]. الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق : علي عبد الباري عطية ، ط 1 ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1415 هـ ، ج12 ، ص22

[2]. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص64

وهما القمر والعرجون وهذه الصورة تفيد دلالة دينية لتبين عظمة الخالق وقدرته وإبداعه في خلقه .

تثير الحياة مع القمر ليلة بعد ليلة مشاعر وخواطر ندية ثرية موحية عميقة. والقلب البشري لا ينجو من تأثرات واستجابات، ومن سبحات مع اليد المبدعة للجمال والجلال المدبرة للأجرام بذلك النظام. سواء كان يعلم سر هذه المنازل والأشكال القمرية المختلفة أو لا يعلم. فالمشاهدة وحدها كفيلة بتحريك القلب، واستجاشة الشعور، وإثارة التدبر والتفكير. ([1]) والإنسان عندما يتأمل القمر ليلة بعد ليلة يثير تحول القمر حسا وشعورا , فيتأمل قدرة الخالق في خلقه للأجرام بنظام محكم ,وسواء عرف الإنسان سر المنازل أم لم يعرف، فمشاهدته للقمر تثير في نفسه استجابة ويحرك قلبه ، ويشرع بالتدبر والتفكر .

ويضيف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم إشراقات دلالية لنعت المشبه به من خلال ,"وصف المراحل الأخيرة من مراحل الدورة الشهرية للقمر بالعرجون القديم ,وهو العنقود من الرطب (العذق)إذا يبس وانحنى واصفر لونه, وهو عند يبوسه على النخلة ينحني تجاهها فكذلك الهلال الثاني ينحني بطرفيه تجاه الأرض ,بينما الهلال الوليد ينحني بهما بعيدا عنها."([2])

فلق البحر:

حفل القرآن الكريم بالظواهر الكونية الجليلة ، نحو فلق البحر أو فرقه على يد سيدنا موسى عندما هرب هو وقومه من فرعون وجنوده، يقول تعالى: "وَإِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْناكُمْ

---

[1]. ينظر : قطب ، سيد : في ظلال القران الكريم . ج5 ، ص 2968

[2] . النجار ، زغلول راغب محمد : السماء في القرآن الكريم. ص522

وَأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُون "([1])، وفي قوله تعالى: "فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ "([2])، فعندما ضرب موسى البحر بأمر الله تعالى انفلق إلى اثني عشر فرقاً ، أي طريقاً يابساً سلكت كل فرقة ممن كانوا مع موسى طريقاً حتى عبروا البحر وأغرق الله تعالى فرعون وجنوده في البحر وذلك لتكذيبهم الله تعالى، وكان هذا الفلق للبحر من الآيات الكونية الكبرى لتصديق موسى ومن معه، وكذلك تصديقاً لله تعالى ، لأن من يكون مع الله ينجيه دائماً من العقاب ،وبذكر الله تطمئن القلوب "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"([3])، فعندما ذكر موسى الله اطمئن قلبه وقلوب من معه وكذلك نجاه الله من فرعون وجنوده إذ أمره أن يضرب بعصاه البحر فانفلق وصار طريقاً يبساً كالجبل العظيم([4]).

---

[1] . البقرة : 50

[2] . الشعراء :63

ينظر:الصابوني , صفوة التفاسير. دار القرآن الكريم ,بيروت, مجلد2 ,ط4, 1981,ص383

يحاول عالمان تفسير ما حدث لموسى وقومه من انفلاق البحر ، إذ يدعي نايوم فولزنجر وشريكه أليكسي أندرسوف أن الفرع الشمالي للبحر الأحمر قبل ألفي عام ينفتح تحت ظروف جوية خاصة، وأن الريح في هذا الجزء من البحر لها القدرة على شق البحر إلى نصفين إن وصلت إلى سرعة 30 كم، وهذا يعني وفقا للحسابات الفيزيائية أن رحلة بني اسرائيل احتاجت سبع ساعات، وما أن دخل قوم فرعون البحر حتى عادت سرعة الريح إلى طبيعتها وارتفع الماء مسافة مترين، فغرقوا جميعا .

وترى الباحثة أن هذه النظرية تبقى مجرد افتراض لا يغير من حقيقة المعجزة وجوهرها، ومهما كان السبب المادي لفلق البحر، فإن جوهر الأمر متعلق بالمعجزة الربانية التي تسير الأشياء.

[3] . سورة الرعد، آية 28

[4] .أنظر: خضر، قاسم توفيق قاسم: شخصية فرعون في القرآن. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، إشراف الدكتور: محسن الخالدي، 2003، ص222

هدى الله موسى طريق النجاة، وهلك أعداؤه، فحينما "انفلق البحر جعله الله يبساً لموسى وقومه وصار فيه اثنا عشر طريقاً ووقف الماء بينها كالطود العظيم، فلما خرج أصحاب موسى وتكامل دخول أصحاب فرعون أمر الله البحر أن يطبق عليهم فغرقوا فيه"([1])

قال تعالى:" فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ"([2])

تحققت العلاقة الدلالية (المعجمية) بين النعت (الطود) ، والمشبه به (البحر أو نصف البحر)، فالطود: "الجبل، أو عظيمه، ، والجمع أطواد وطودة"([3])، فالجبل عظيم وكبير لذلك جاء لفظ الطود "الجبل" ليبين لنا عظمة البحر ، فلفظة عظيم أدق دلالة من دلالة كبير، فجاء النعت "عظيم" ليدل على المعنى بأبلغ صورة ويتآلف مع الجبل والبحر وذلك لعظم الاثنين معاً, وتتجلى العلاقة الدلالية المتجانسة بين الفعل (فانفلق) والفرق (المشبه به)، فالفِرْقُ الفِلْق من الشيء إذا انْفَلَقَ منه.([4]) والفلق: لا يكون إلا بين جسمين، والفرق: قد يكون في الأجسام والمعاني.([5])

---

[1] . الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير. دار القرآن الكريم، بيروت، المجلد 2، ط4، 1981، ص383

[2] . الشعراء، 63

[3] . القاموس المحيط: مادة طود

[4] .لسان العرب :مادة فرق

[5] . الأصفهاني ، الراغب : تفسير الراغب الأصفهاني .تحقيق : د. محمد عبد العزيز بسيوني. جامعة طنطا، كلية الآداب . 1999 ، ج 1، ص187

وتعزز الأفعال الواردة في الآية دلالة النعت والمشبه به من حيث القوة والشدة ؛ففعل الأمر "اضرب" يدل على القوة والعظمة إذ يحتاج إلى جهد كبير للقيام به. ويفيد الفعل (اضرب) ومشتقاته دلالة مائية تنسجم مع حركة البحر واضطراب الأمواج ؛ فالضَّارِبُ المُتَحَرِّك، والمَوْجُ يَضْطَرِبُ أَي يَضْرِبُ بعضُه بعضاً وتَضَرَّبَ الشيءُ واضْطَرَبَ تَحَرَّكَ وماجَ.([1]). وكذلك الفعل الماضي "انفلق" يدل على عظمة الأمر وقوته، وعند تخيل المشهد نرى عظمته عندما نتخيل البحر حينما ينفلق ، ويصبح كل جانب منه كالجبل العظيم . أما الفعل (فانفلق) فيدل على الهيئة التي آل إليها البحر بعد ضربه بالعصا ؛ لأن الفَلَقُ المطمئن من الأَرض بين الرَّبْوَتَينِ ،([2]) فكأن البحر بعد فلقه صار أرضا مطمئنة سار عليه موسى وقومه ، وصار كل فرق من البحر ربوة .

ويربط الفعل (فانفلق) معجزة فلق البحر بمعجزات أخرى . وقد تنبه ابن منظور إلى علاقة الفلق بالمعجزات الكونية كلها في قوله : وإذا تأَملت الخَلْق تبين لك أَن أكثره عن انِفلاق فالفَلَقُ جميع المخلوقات ، وفَلَقُ الصبح من ذلك ، وانْفَلَقَ المكان به انشق ، وفَلَقَت النخلة وهي فالِقٌ انشقت عن الطَّلْع والكافور والجمع فلْق وفَلَقَ الله الفجر أَبداه وأَوضحه.([3])

وينبغي تأمل تكامل السياق الأصغر مع السياق الأكبر وترابطهما في الآيات، إذ لا يمكن تفسير الآية الكريمة وحدها بل يجب الاعتماد على الآيات السابقة واللاحقة لها . ففي قوله تعالى: " وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ

---

[1] .لسان العرب :مادة ضرب

[2] .لسان العرب :مادة فلق

[3]. لسان العرب :مادة فلق

حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) "([1])

تتناسب دلالة العظمة في نعت الطود مع الموقف والسياق ,فهي تمثل قوة الله وتأييده لموسى عليه السلام في مقابل قوة فرعون ,لهذا جاءت قدرة الله في مواجهة ملكوت فرعون وطاقاته, لتبين ضعف فرعون وجنوده أمام الله ,ولتمد المؤمنين بطاقة وعزيمة , وجاءت ألفاظ أخرى تنسجم مع قوة المشهد مثل(أزلفنا)أي جمعهم جميعا واحتوائهم والسيطرة عليهم ,فلا مجال للهرب أو النجاة , ولا يخفى أن الطود الموصوف بالعظمة جاء ملائما لجنود فرعون وعددهم وغرورهم .

وتتضمن العلاقة التكاملية بين السياق الأصغر والسياق الأكبر تحولا من حالة إلى حالة ، إذ يتمثل التحول بالمقاربة بين فرعون القوي المتجبر المهاب الجانب الذي انتهى مصيره وقومه غرقا، وتحول إلى إنسان لا يملك لنفسه نفعا ، فهو عاجز عن منع عذاب الله ,فمهما كان قويا لا يستطيع أن يقف أمام قدرة الله وقوته من جهة ، والبحر الهادر ذو اللجج الخطيرة الذي تحول إلى أرض يابسة آمنة سار عليها موسى وقومه من جهة أخرى، ففي هذه الآيات تحولان ؛ تحول في الطبيعة الإنسانية وهي تحول فرعون من قوي إلى ضعيف ، وفي الطبيعة

[1] . الشعراء: 52-67

الجغرافية وهو تحول الماء إلى يابسة . و يفيد نعت المشبه به تحول السيولة (الماء) إلى صلابة (الطود).

فكيف تحولت السيولة إلى صلابة؟ إن الماء مهمته الاستطراق وهو أن يتخذ المكان طريقا, ولا يمكن أن توجد منطقة منخفضة والماء أعلاها، بل لا بد أن ينفذ منها، وعندما أطاع موسى أمر الله أراد أن يطمئن بأسباب البشر، فأراد أن يضرب البحر كي يعود البحر مثلما كان؛ حتى لا يأتي قوم فرعون وراءه فقال له ربنا:" واترك البحر رَهْواً" ([1]) ([2])أي: اتركه كما هو على هيئته قارّاً ساكنا؛ لأنني أريد أن يغريهم ما يرون من اليبس في البحر فينزلوا، فأعيد الماء إلى استطراقه وأُطْبِقهُ عليهم، فأكون قد أنجيت وأهلكت بالشيء الواحد.

وفي موضع آخر يقول الشعراوي: ونجد في الجبل الصلابة، وهكذا فقد الماء السيولة وصار كل فرق كالجبل الواقف، ولا يقدر على ذلك إلا الخالق، لأن السيولة والاستطراق سنة كونية، والذي خلق هذه السنة الكونية هو الذي يستطيع أن يبطلها. وحين سار موسى وقومه في اليابس، وقطع الجميع الطريق الموجود في البحر سار خلفهم فرعون وجنوده وأراد موسى أن يضرب البحر بعصاه ليعود إلى السيولة وإلى الاستطراق حتى لا يتبعه فرعون وجنوده، وهذا تفكير بشري أيضاً، ويأتي لموسى أمر من الله: "واترك البحر رَهْواً"([3])

وينسجم التكامل الدلالي بين النعت والمشبه به في قوله تعالى : "فَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى أَنِ اِضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ العَظِيمِ" مع قول علماء الأرض من

---

[1]. الدخان :24

[2].الشعراوي,محمد متولي: معجزة القرآن .ط8,مكتبة دار التراث الاسلامي,القاهرة ,ج17, 1988م, ص10580

[3]. الشعراوي,محمد متولي:معجزة القرآن .ج17, ص 10580

جيولوجيا وفيزياء وعلماء البحار إنه لا يوجد قانون فيزيائيٌّ وجيولوجيٌّ يستطيع أن يوقف الماء على جنبيه ولو كان قدرا يسيرا لا يتجاوز المتر, ولكن الله بقدرته تجاوز قانون الماء وفلق البحر الى جهتين وقف ماء كل جهة كجبل شامخ كالطود يفرق خوفا وهولا من الله ممتثلا لأمر الله سبحانه لا يستطيع أن يعود إلى مجراه القديم حتى يأمره الله سبحانه,. ([1])

المبحث الثاني: نعت مشاهد العذاب الدنيوي

تعددت أنواع العذاب التي تعرضت لها الأمم السابقة ، فمنهم من هلك بالريح العاصفة شديدة البرودة كما في قوله تعالى " سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَة "([2])، ومنهم من أهلكه الله بحجارة من سجيل شديدة الحرارة في قوله تعالى : "فجعلهم كعصف مأكول "([3])، وقيل إن السجيل "حجارة من جهنم، وإن سجيل اسم من أسماء جهنم"([4])

---

[1] . ينظر :الصوفي,ماهر أحمد : الموسوعة الكونية الكبرى. آيات الله في البحار والمحيطات والأنهار,ط1,ج7, 2007,ص 405

[2] . الحاقة : 7

[3] . الفيل : 5

[4] . الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير.ط1, دار الفكر، 1981،ج32، ص96

وفي قوله تعالى :" تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ"([1]).تصوير للهلاك بالريح التي أصابت قوم ثمود الذين كانوا يعبدون الأصنام ونحتوا بيوتهم من الحجارة في الجبال، لكن عذاب الله وهلاكه لا تمنعه تلك البيوت و الجبال،فجاءت الصيحة الكبرى وأهلكت قوم ثمود.

أما الريح فقد تحدث عنها القرآن الكريم في آيات كثيرة وجاءت مفردة و مجموعة، وحينما ترد مفردة تدل على العذاب، وحينما ترد رياحاً مجموعة تدل على الرحمة، فقد أرسلت الريح على قوم عاد فكانت عقيماً، يقول تعالى: "وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم"([2])، فأتت هذه الريح مفردة فكانت عذابا فهي عقيم لا تلقح ولا خير منها، أما عندما وردت مجموعة "رياح" في قوله تعالى: "وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين"([3])، فتدل على الخير فهي تلقح ما يأتي أمامها، فوردت لفظة "رياح" مجموعة في القرآن الكريم دائماً مع الرحمة "مبشّرات، حاملات، مرسلات، ناشرات، ذاريات، لواقح، وفي كل مرة ذكرت فيها الريح مفردة تكون مقترنة بالعذاب "عاصف، قاصف، عقيم، صرصر.

قال تعالى :"تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ"([4])

يكشف المعنى المعجمي للمشبه به (أعجاز نخل) ، والنعت (منقعر) عن التناسق الدلالي بينهما، فأعجاز نخل: هي جذوع النخل المقلوع من الأرض([1]), ومنقعر : منقلع عن

---

[1] . القمر : 20

[2] . الذاريات: 41

[3] . الحجر: 22

[4] . القمر :20

قعره ومغرسه , وقيل منقعر :منقلع عن أصله ,مجتث وساقط ,والقعر من كل شيء :عمقه ونهاية أسفله ([2]) فالمعذبون كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام، كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع , وقيل: شبهوا بأعجاز النخل، لأنّ الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس.([3])

ويتحقق التواصل الدلالي بين السياق الأصغر والسياق الأكبر، أي بين النعت والمشبه به من جهة والنسيج اللغوي للآية من جهة أخرى ، فالفعل (تنزع) في قوله تعالى (تنزع الناس) يعني الْإِزَالَةُ بِعُنْفٍ لِئَلَّا يَبْقَى اتِّصَالٌ بَيْنَ الْمُزَالِ ومَا كَانَ مُتَّصِلًا بِهِ، وَمِنْهُ نَزْعُ الثِّيَابِ.. وَشُبِّهَ النَّاسُ الْمَطْرُوحُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِأُصُولِ النَّخِيلِ الْمَقْطُوعَةِ الَّتِي تُقْلَعُ مِنْ مَنَابِتِهَا لِمَوْتِهَا إِذْ تَزُولُ فُرُوعُهَا وَيَتَحَاتُّ وَرقهَا فَلَا تبقى إِلَّا الْجُذُوعُ الْأَصْلِيَّةُ فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ أَعْجَازًا. قَالَ بَعْضُهُمْ: إنهم لما لاذوا بمساكنهم وهربوا منها كانت تدخل الريح مساكنهم وتخرجهم منها فتلقيهم في صحاريهم وأفنيتهم موتى. وقَالَ بَعْضُهُمْ: تنزع مفاصلهم، وتقطعها، ثم تلقيهم في أفنيتهم.([4])

ومنهم من قال: تنزع مفاصلهم فتلقيهم كأعجاز نخل منقعر؛ لأنهم كانوا أطول الخلق، فذكر أن كل رجل منهم كان طوله ستين ذراعا، والنخل لا يبلغ ذلك المقدار إلا بعد قطع المفاصل؛ فجائز التشبيه بأعجاز نخل منقعر بعد انتزاع مفاصلهم، والانقعار: هو الانقلاع.([5])

---

[1].لسان العرب : مادة عجز

[2].لسان العرب : مادة نخل

[3]. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3 ، دار الكتاب العربي – بيروت ، 1407 هـ ، ج4 ، ص436

[4] . الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4, ص 437

[5] . ينظر : الماتريدي ،محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور :تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة. تحقيق مجدي باسلوم . ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2005 ج9،ص 253 ، 450

ومُنْقَعِرٍ: أَيْ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ قُعِرَتْ دَوَاخِلُهُ وَذَلِكَ يَحْصُلُ لِعُودِ النَّخْلِ إِذَا طَالَ مُكْثُهُ مَطْرُوحًا.... وَوجه الْوَصْف بـ(مُنْقَعِرٍ) أَنَّ الرِّيحَ صَرَعَتْهُمْ صَرْعًا تَفَلَّقَتْ مِنْهُ بُطُونُهُمْ وَتَطَايَرَتْ أَمْعَاؤُهُمْ([1])

وينبغي أن نتأمل السياق الأكبر في قوله تعالى :"كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (24) أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِر(26)([2])

يتجلى التقارب الدلالي بين معنى النعت (منقعر)ومعنى الفعل (تنزع) ، فمعنى منقعر : انقعر انقلع عن أصله ,وقعرت النخلة :قلعت من أصلها .([3]) ومعنى تنزع" : نزع الشيء ينزعه نزعا اقتلعه فاقتلع ,وفرق سيبويه بين نزع وانتزع فقال :انتزع استلب ,ونزع :حول الشيء عن موضعه وان كان على نحو الاستلاب".([4])

التواصل النفسي بين نعت المشبه به والسياق العام:

---

[1].ينظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. ج 27 ، ص193 ، 194

[2].القمر: 18-26

[3].لسان العرب: قعر

[4].لسان العرب :نزع

تثير الصورة الناجمة عن نعت المشبه به (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) الخوف والفزع ، وتؤكد على وقوع العذاب في الدنيا ، ليأخذ الخارجون عن حدود الله العبرة . و"يبدأ تصوير مشهد تدميرهم، ببيان سببه أولا، وهو التكذيب، ثم يعقب عليه مباشرة بالاستفهام عن عذابهم، وذلك لتهويله وتضخيمه، وإثارة الخوف في النفوس مما حلّ بهم. ثم بدأ بتصوير تدمير عاد بهذا المشهد المرعب السريع الخاطف، والإيقاع الملائم برنينه القوي الشديد المتناسق مع جوّ التدمير والعذاب. فالريح الصرصر الباردة العاتية، كانت تنزعهم نزعا من على الأرض، وتلقي بهم جثثا هامدة، وكأنهم أعجاز نخل محطمة، مقلوعة من جذورها. وتكرار الاستفهام في نهاية هذا المشهد، يبعث الخوف والفزع من مخالفة أمر الله، وقد ورد هذا الأسلوب الاستفهامي في بداية المشهد، وفي نهايته، لتحقيق هذا الغرض الديني."([1])

وتجسد العلاقة الدلالية بين النعت والمشبه به العذاب الهائل الذي لحق بهم والمشهد مفزع مخيف، وعاصف عنيف. والريح التي أرسلت على عاد هي من جند الله وهي قوة من قوى هذا الكون، من خلق الله، تسير وفق الناموس الكوني الذي اختاره; وهو يسلطها على من يشاء، بينما هي ماضية في طريقها مع ذلك الناموس، بلا تعارض بين خط سيرها الكوني، وأدائها لما تؤمر به وفق مشيئة الله. صاحب .الأمر وصاحب الناموس ([2])

تبرز في القرآن الكريم ظاهرة تعدد المشبه به للمشبه الواحد ، فوصفت الآية السابقة القوم الكافرين بأعجاز نخل منقعر .وفي قوله تعالى : سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ

---

[1]. الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص283

[2]. ينظر : قطب ، سيد : في ظلال القران الكريم . ج6 ، ص 3432

حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ".([1]) جاء نعت القوم الكافرين بأنهم أعجاز نخل خاوية.

يتناسب وصف النخل بـ "منقعر" في سورة القمر دلاليا مع الفعل "تنزع" في قوله تعالى:" تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ"([2]) فقد روي أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فقلعتهم الريح من أماكنهم التي اختبأوا فيها، وانتزعوا من الحفر والشعاب وأكبتهم الريح على وجوههم كما تقلع أو تنزع النخلة من أصولها وتسقط على الأرض. ولا يخفى أن ورود "منقعر" في القمر ذو بعد إيقاعي لتناسبه مع رؤوس الآي، كذلك يتناسب لفظ "خاوية" في سورة الحاقة مع رؤوس الآي."([3]) والأرض الخاوية هي الخالية من أهلها ,والخاوية المنقلعة من منبتها,وقيل:بيت خاوي أي بيت بائد غير عامر .([4]) وجاءت كلمة خاوية بالتأنيث للدلالة على المبالغة والتكثير مثل كلمة راوية . وَالْمَعْنَى: خَالِيَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَهَذَا الْوَصْفُ لِتَشْوِيهِ الْمُشَبَّهِ بِهِ بِتَشْوِيهِ مَكَانِهِ، ولِهَذَا الْوَصْفِ وَقْعَ فِي التَّنْفِيرِ مِنْ حَالَتِهِمْ لِيُنَاسِبَ الْمَوْعِظَةَ وَالتَّحْذِيرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ أَسْبَابِهَا.([5])

وينبغي أن نتأمل السياق الأكبر في قوله تعالى :" كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ

---

[1] .سورة الحاقة : آية 7

[2] . القمر : 20

[3] . عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم (التركيب والرسم والإيقاع. ط1 ، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن ، 2010 ، ص68

[4]. لسان العرب : مادة خوا

[5] . ينظر :ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. ج 29 ، ص119

وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ(8) "([1])

يقتضي بيان التناسب بين النعت (منقعر) وسياقه في سورة القمر ، والنعت (خاوية) وسياقه في سورة الحاقة الاعتماد على مشتقات مادة المشبه به (عجز\ نخل) ، ومادة النعت (خوا) . نقول :أعجزه الشيء : عجز عنه.وعجز:ضعف.([2]).وتتفق دلالة (عجز) مع مشاهد العذاب التي سبق بيانها .أي أن الكفار كانوا عاجزين رغم قوتهم وتحولت قوتهم إلى ضعف.

ويطول تصوير هذا المشهد بما فيه من هول ورعب، لتحقيق التأثير النفسي. وصورتهم وهم صرعى، توحي بالسكون بعد زمجرة الريح الصرصر، فالتصوير إذا اعتمد في البداية على الصورة المتحركة، ثم أعقبها بالصورة الصامتة لعرض آثار التدمير في الإنسان.([3])

ويتناسب تصوير الإهلاك بأعجاز النخل المنقعر مع السياق الذي يتحدث عن بداية إهلاكهم، ومصرعهم فقد جاءتهم الريح الصرصر العاتية في قوله تعالى : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) لتقتلعهم من الأرض، كاقتلاع أشجار النخل من جذورها، فترميهم أرضا أجسادا هامدة، كأشجار النخيل المنقعر، أي المنقلع من جذوره، والمرمي على الأرض. وهذه الصورة، توحي بسقوطهم على الأرض، ولا تدلّ على إفنائهم، فما زالت بهم قوة، واكتفت اللقطة المصوّرة بهذا الجزء من مشهد إهلاك عاد، لأن السياق الواردة فيه هذه الصورة لم يتحدث عن الزمن الذي سخرت فيه الريح لتدميرهم. كما ورد ذلك في سياق الصورة الثانية يقول الله

---

[1] . الحاقة: 4-8

[2]. لسان العرب:مادة :عجز

[3] . الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص285

تعالى: "سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ، وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ" ([1])

وردت صورة(أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ) في سياق، يتحدث عن منتهى إهلاكهم وتدميرهم، لذلك كانت الصورة متفاعلة مع هذا السياق، ومتناسقة معه، فأجسادهم هنا فنيت، وتآكلت أجوافها، حتى صارت تشبه أعجاز النخل الخاوية، والريح في هذا السياق، لم تكتف برميهم على الأرض، كما في الصورة الأولى «نخل منقعر» وإنما راحت تجوّف أجسادهم، حتى تجعلها خاوية من كل شيء، وصورة الأجساد الخاوية تتناسق مع السياق العام للسورة، الذي يوحي بالشدة والقوة والعنف. فقد تحدثت السورة عن الحاقّة، والطاغية، وطغيان الماء، ودك الأرض والجبال وغير ذلك من الأوصاف الشديدة، التي تقتضي تصوير هلاك عاد بالنخل الخاوية.

ويمكننا أن نقول إن الصورة الثانية ترتبط بالصورة الأولى لهم، وتتواصل معها، فالنخل المنقعر، تصوير لبداية التدمير والإهلاك، ثم النخل الخاوية، هي الصورة الأخيرة للإهلاك والإفناء فالصورة الثانية، تكمل التصوير في الصورة الأولى، وليست منفصلة عنها. ([2])

ورد وصف النخل "خاوية" مؤنثا في قوله تعالى " كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَة " ([3])، وورد "منقعر" في قوله تعالى: " كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ"([4]). مذكرا والنخل يذكر ويؤنث، يقال: هذا

---

[1].سورة الحاقة : آية 7

[2]. ينظر : الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص145

[3]. الحاقة : 7

[4] . القمر : 20

نخل، وهذه نخل، ومنقعر على التذكير([1]).والعرب قد تؤنث للكثرة وتذكر للقلة، لذا جاء الوصف مؤنثا في سياق الكثرة، فالنخل في آية الحاقة أكثر من النخل في آية القمر والدليل على ذلك أن الريح التي دمرتهم استمرت سبع ليالٍ وثمانية أيام في قوله تعالى:"سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ". أما في القمر فلم تستمر الريح إلا يوما واحدا وذلك في قوله تعالى" إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ" ([2])، كذلك فإن النخل الخاوية تشمل النخل المنقعر وزيادة فكل نخل منقعر وهو خاوٍ وليس كل خاوٍ منقعرا.([3])

عذاب قوم أبرهة الحبشي

قال تعالى : ((فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ))([4])

تتحدث سورة الفيل عن قصة أصحاب الفيل الذين قصدوا الكعبة المشرفة لهدمها. وحدثت هذه القصة في العام الذي ولد فيه أشرف الخلق سيدنا محمد ، وهي سورة فيها عبرة لكل طاغية متكبر متجبر في العصور والأزمان كلها ،لذا جاء فعل (تر) في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) " ألم ترَ" و "ألم يجعل " جزم بـ ألم . ومعنى "ألم تر" في أول السورة وكل ما في كتاب الله تعالى : ألم تعلم , ألم تخبر يا محمد , فهو من رؤية القلب والعلم لا رؤية العين , والفعل نقل زمنه إلى الماضي ؛ ولذا عطف عليه في الآيات اللاحقة " وأرسل "

---

[1] . انظر: الزجاج، أبو اسحق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: عبد الجليل عبده الشلبي. خرج أحاديثه: علي جمال الدين محمد. دار الحديث، القاهرة، ط1، 1994، ج5، ص89

[2]. القمر : 19

[3] . انظر: السامرائي ، فاضل صالح: بلاغة الكلمة. ط2، دار عمار، عمان، ، 2001. ص94، 95.

[4] . الفيل : 5

فعل ماضٍ . فان سأل سائل كيف عطف بماضي على مستقبل ؟ فقل : المستقبل في "ألم يجعل " بمعنى الماضي , فعطف ماضٍ على ماضٍ ([1])، فكل من طغى وتجبّر على الله تعالى سيكون عقابه شديداً وفي دلالة الفعل المضارع تَثْبِيتُ النَّبِي بِأَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْهُ كَيْدَ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ الَّذِي دَفَعَ كَيْدَ مَنْ يَكِيدُ لِبَيْتِهِ لَأَحَقُّ بِأَنْ يَدْفَعَ كَيْدَ مَنْ يَكِيدُ وَدِينِهِ وَيُشْعِرُ بِهَذَا ([2]) قَوْله: "أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ"([3]) و التَّذْكِيرُ بِأَنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَنْ لَا تَغُرَّ الْمُشْرِكِينَ قُوَّتُهُمْ وَوَفْرَةُ عَدَدِهِمْ وَلَا يُوهِنُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأَلُّبُ قَبَائِلِهِمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا.([4])

يحرك مشهد العذاب في هذه الآيات النفس الإنسانية للابتعاد عن المعاصي , والتصوير القصصي في القرآن يعزف أيضا على وتري الخوف والرجاء، فهناك التخويف من مصائر المكذبين الذين عاقبهم الله في الدنيا مثل أصحاب الفيل وعاد وثمود وقوم لوط، وقوم نوح وغيرهم، وهناك أيضا بعث مشاعر الأمل والرجاء في القلوب المؤمنة التي ترى في قصة موسى مثلا، أملا في النصر والتمكين، ودحر الباطل وهلاكه. وبذلك تتحرر القلوب من مشاعر الخوف من قوى الأرض، وتتعلق بقوة الله التي لا تغلب.([5])

---

[1]. ابن خالويه , الحسين بن أحمد : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم , د.ت, مكتبة المتنبي , القاهرة , 1941م, ص 191_ 192

[2]. قطب ، سيد : في ظلال القرآن. ج6 , ص 3979.

[3].الفيل :2

[4]. ينظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. ج20 ، ص544

[5]. ينظر : الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن.ص425

يكشف المعنى المعجمي للفظي المشبه بـه (عصف) ، والنعت (مـأكول) عن التوافق الدلالي بينهما , فعصف ورق الزرع الذي يبقى بعد الحصاد ، وتعصفه الرياح فتأكله الماشية, وقيل:عصفت الريح اشتدت هبوبها ,وعصف الزرع جز ورقه ([1]) " وَالْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ وَهُوَ جَمْعُ عَصْفَةٍ. وَالْعَصْفُ إِذَا دَخَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَأَكَلَتْهُ دَاسَتْهُ بِأَرْجُلِهَا وَأَكَلَتْ أَطْرَافَهُ وَطَرَحَتْهُ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَخْضَرَ يَانِعًا. وَهَذَا تَمْثِيلٌ لِحَالِ أَصْحَابِ الْفِيلِ بَعْدَ تِلْكَ النَّضْرَةِ وَالْقُوَّةِ كَيْفَ صَارُوا مُتَسَاقِطِينَ عَلَى الْأَرْضِ هَالِكِينَ". ([2]) ومـأكول اسم مفعول مـن أكـل بمعنـى تنـاول ,([3])والعصف المأكول:ورق الزرع أكلته الدواب وداسته وأفنته , وهو من بقايا أكل البهائم من الحشيش والنباتات .

وينبغي أن نتأمل السياق الأكبر في قوله تعالى :" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)".([4]) للكشف عن التواصل الدلالي بين المشبه به والنعت على النحو الآتي :

1-نسق التحول من حالة إلى حالة : وهو تحول أصحاب الفيل من القوة إلى ضعف وهلاك وتساقطهم على الأرض إلى جثث هامدة .

2-نسق التواصل اللغوي بين دلالة لفظي المشبه به والنعت ودلالة أجزاء من السياق الأكبر.

---

[1]. لسان العرب :مادة عصف

[2]. ابن عاشور , محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج30, ص 551

[3]. لسان العرب : مادة أكل

[4] . الفيل : 1-5

فقوله تعالى : (ألم يجعل كيدهم في تضليل) معناه الإبطال والتضييع والخسران ,وهذا يتناسب مع نعت المشبه به (العصف المأكول) ، وهو بقايا النبات الذي يطير وتعصف به الريح لخفته وتتناسب مع الآية (ترميهم بحجارة من سجيل)أي الطير ترميهم بحجارة من الطين المتحجر.

3-التناسب النفسي بن النعت والمشبه به "فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ كورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفرا منه، ويفيد التشبيه ذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم، أو لأن الحجر بحرارته يحرق أجوافهم. وذهب غير واحد إلى أن المعنى تبن أكلته الدواب, وراثته, والمراد كروث إلا أنه لم يذكر بهذا اللفظ لهجنته فجاء على الآداب القرآنية فشبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث، ففيه إظهار تشويه حالهم وقيل: المعنى كتبن تأكله الدواب وتروثه والمراد جعلهم في حكم التبن الذي لا يمنع عنه الدواب أي مبتذلين ضائعين لا يلتفت إليهم أحد ولا يجمعهم ولا يدفنهم كتبن في الصحراء تفعل به الدواب ما شاءت لعدم حافظ له إلّا أنه وضع مأكول موضع أكلته الدواب لحكاية الماضي في صورة الحال"([1])

وترد صورة (الهشيم المحتظر)مناظرة لصورة (العصف المأكول) في قوله تعالى:"إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً فَكانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ"([2])، فصورة الهشيم المحتظر، تعبّر عن معنى إفنائهم وإهلاكهم، ولكن الصورة تعبّر أيضا عن الإهانة والتحقير لهم، عقابا على استكبارهم على دعوة الله، ومخالفتهم أمره، وصورة الهشيم تدلّ على إفنائهم، ولكنّ هذا الهشيم، هو هشيم الحظيرة الذي تدوسه الدوابّ وتروث عليه، تحقيرا لهم، وازدراء بهم. ونظير ذلك أيضا صورة إهلاك أصحاب الفيل في قوله تعالى: "فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ", فصورة العصف المأكول تعبّر عن الإهلاك، وتعبر عن التحقير المصاحب لهذا الإهلاك.

---

[1] . الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني. ج15، ص 469

[2] .القمر:31

فنيت أجسادهم، وتغيّرت، حتى أصبحت على هذه الصورة الكريهة المحتقرة التي يكنّي عنها القرآن الكريم، على طريقته التصويرية في أداء المعاني بالكنايات والإشارات الموحية. فالصورتان «هشيم المحتظر» و «العصف المأكول» تعبّران عن الإهلاك والإفناء للكافرين، ولكن لكلّ صورة منهما خصوصيتُها، التي تميّزها عن الأخرى، وهذه الخصوصية في التصوير، جاءت كي تتلاءم مع السياق الواردة فيه، ولتدلّ على هيئة الكافرين بعد إهلاكهم، للإيحاء بالتحقير والازدراء لهم. فصورة الهشيم المحتظر توحي بأن أجسادهم، حطّمت وديست بالأقدام، كما تدوس الدوابّ الهشيم في الحظيرة، و «صورة العصف المأكول» توحي بإحراق أصحاب الفيل، وإفنائهم فناء كاملا، حتى أصبحوا مادة أخرى بعد الإحراق، كما يتحوّل ورق الزرع أو التبن إلى مادة أخرى بعد أن تأكله الدواب ولا يخفى ما في الصورتين من التحقير لهؤلاء الكافرين إلى جانب تصوير المعنى الذهني.([1])

المبحث الثالث: نعت يوم القيامة ومشاهد الجنة والنار

البعث والنشور:

صور القرآن الكريم البعث والنشور ،وصفات الناس في ذلك الوقت، نحو قوله تعالى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ "([2])، فالمقصود بالنفخة هنا البعث والنشور، و قوله تعالى: "ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون"([3])، فهذه النفخة هي النفخة الثانية وهي نفخة البعث وهي "صيحة توقظ الأموات مما هم فيه ثم يحشرون بعدها إلى أرض

[1] . ينظر : الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص145 ، 146

[2] . يس: 51

[3] . الزمر: 68

المحشر"([1]) فالله تعالى له الخلق وهو المتصرف بأمورهم وإليه مرجعهم ونشورهم وذلك من قوله تعالى: "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور"([2])، فوعد البعث وعد حق على الله تعالى وإليه النشور ورجوع الخلق .

أما حال الكفار يوم البعث فهي "إنكار للآخرة والتكذيب بالبعث وإبطال للجزاء، فإذا نفخ في الصور وبعثوا من قبورهم فيظهرون الحسرة والندم فيجيبهم أهل الإيمان والحق من الملائكة والنبيين والمؤمنين "هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون"([3])، ولا ينفع الكفار اعتذارهم عما فعلوا ولا هم يرجعون إلى الدنيا، ويوبّخ الله تعالى الكفار على تغافلهم، اذ يبعث الكفار وهم في غاية الخضوع والانكسار.([4])

ويصوّر النص القرآني الخوف العالق بالنفوس في مشهد رهيب من مشاهد القيامة، فيه تضييق النفوس, وتخفق القلوب, كأنها ترتفع عن مواضعها من شدة الضيق فتلتصق بالحناجر فلا تخرج ليستريحوا, ولا ترجع إلى أماكنها ليرتاحوا, فهي غصّة تثقل صدورهم وتكرب أنفاسهم وهم على تلك الحال لا يجدون قريباً يشفق عليهم أو يبثون إليه آلامهم ولا شفيعاً ذا كلمة مسموعة يسعى إلى تفريج الكرب, ودفع المكروه, ويزيد من وحشة الصورة قوله تعالى: " ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ "([5]) . فالقرآن وصف يوم القيامة بأنه يوم رهيب ويحمل كثيرا من الخوف والفزع, ويبين أنه لا يوجد شفيع ولامعين.

---

[1] . حجازي، علي سعيد علي: التوحيد للسالك للنجاة من المهالك. دار الكتب العلمية، بيروت، ص554

[2] . الملك: 15

[3] . الصافات: 21

[4] . أنظر: حجازي، علي سعيد علي: التوحيد للسالك للنجاة من المهالك. ص561

[5] .غافر : 18

ومثل هذا التعقيب يضفي على الصورة بعداً نفسياً يتمثل في تقرير الانفراد والوحدة ومن ثم فإن الصورة بشقيها تعين على استحضار هؤلاء الظالمين وهم بين كرب شديد وانفراد موحش"([1]) فالقرآن في آياته يهدف إلى إيصال الرسالة للمتلقي , لكي يكون مطيعا لله تعالى ومبتعدا عن المعاصي .

قال تعالى : "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ(5)"([2])

يكشف المعنى المعجمي للفظي المشبه به (الفراش) ، والنعت (المبثوث) عن التناسب الدلالي بينهما, فالفراش دواب مثل البعوض تطير ومفردها فراشة, والفراش الخفيف الطياشه,وقيل فرش الشيء فرشه وافترشه أي بسطه,([3]), والفراش : فرخ الجراد حين يخرج من بيضه من الأرض يركب بعضه بعضا,([4]),فشبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار.([5]) ومعنى (بثّ)

---

[1] . عبد الكريم، مهدي قيس: "منهج القرآن الكريم في الرد على منكري البعث". مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ع 17 ، جامعة كويا، أربيل، ص133

[2] . القارعة : 4-5

[3]. لسان العرب : مادة فرش

[4] . ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج31 ، ص512

[5]. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.ج6 ، ص421

تفرق وانتشر , وبث الخبر أي نشره ,وبثه له أي أظهره له ,([1]) ومعنى الفراش المبثوث غوغاء الجراد الذي ينتشر في الأرض ويركب بعضه بعضا من الهول .

ويدل المعنى على الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم . وقيل : شبهوا في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والمجيء والذهاب على غير نظام والتطاير إلى الداعي من كل جهة حين يدعوهم إلى المحشر بالفراش المتفرق المتطاير.([2])

والفراش معروف في تفرُّشه وخفته وانتشاره، وبه يضرب المثل في الطيش والهوج، يقال: أطيش من فراشة، وفي صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذُبُّهن عنها، وأنا آخذ بِحُجزِكم عن النار وأنتم تفلّتون من يدي».([3])

يفيد تأمل السياق العام للآيات في قوله تعالى :" الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11)".([4]) الكشف عن العلاقة الدلالية بين المشبه به(الفراش) والنعت(المبثوث) ، والمشبه به (العهن) والنعت (المنفوش) على النحو الآتي:

---

[1].لسان العرب : مادة بثث

[2] .ينظر : الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج15،ص445

[3]. النيسابورى , مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم . دار إحياء التراث العربي – بيروت , ج4, ص 1790.

[4]. القارعة : 1-11

1-التحول من حالة إلى حالة: في قوله تعالى :" يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ" تشبيه الناس حينما يبعثون من القبور بالفراش يوم القيامة من حيث الكثرة والانتشار والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار ، وفي هذه الآية يتحول الناس من حالة سكون إلى حالة ذعر وتشتت وانتشار.

والآية الخامسة "وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ " تصور حركة الجبال التي تتحول من حالة الصلابة والرسوخ إلى حالة الليونة والتفرق والانتشار والتمدد حتى تصبح كالصوف المنفوش ،فقد شبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها,ويكمن في النعت (منفوش) ثلاث دلالات ؛ الأولى : التمدد ، نقول : نَفَشَ الصوفَ يَنْفُشه نَفْشاً إذا مَدّه حتى يتجوَّف والثانية: التفرق ، فالنَّفْشُ : مَدُّ الصّوفَ حتّى يَنْتَفِشَ بَعْضُهُ عن بَعْضٍ والثالثة : الانتشار ، فقد نص أَئمَّةُ الاشْتِقَاقِ أن مادَّةُ النَّفْشِ وُضِعَت للنَّشْرِ والانْتِشَارِ.([1])

2-النسق الصوتي : تدل البنية الصوتية للنعت على جزء من معنى الآية, ويتفق معنى الانتشار والتطاير والتفرش مع الخصائص الصوتية لفاصلة الثاء فهي صوت أسناني يتم إنتاجه حينما يوضع طرف اللسان بين الأسنان فيخرج الهواء منتشرا متطايرا من الأسنان إلى الخارج و الثاء من حروف النفث ويمكن تفسير معنى النفث بأنه([2]) بعثرة النفَس ببطء في أثناء خروجه بين طرف اللسان والأسنان العليا عند حدوث الصوت، مما يماثل الأحداث

---

[1] . ينظر : عتيق، عمر : الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية . مجلة المنارة \ جامعة آل البيت(الأردن) ، م 16 ، ع 3 ، 2010، ص182

[2]. عتيق، عمر : الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية. م 16 ، ص 182

الطبيعية التي تتضمن البعثرة والتخليط .([1]) كما يتفق المعنى المعجمي للبث مع الخصائص الصوتية للثاء ؛ نقول : بَثَّ الشيءَ وانْبَثَّ فَرَّقه فتَفَرَّقَ ونَشَره ، وانْبَثَّ الجَرادُ في الأَرض انْتَشَر . وفي المعنى المعجمي للتفرق والانتشار تناغم مع تفرق الهواء وانتشاره في أثناء نطق صوت الثاء .

تدل البنية الصوتية في النعت (المنفوش) بأن صوت الشين يوصف بالتفشي ؛ لأن هواء النفس معها لا يقتصر في تسربه إلى الخارج على مخرج الشين ، بل يتوزع في جنبات الفم ، و ينجم عن الانتشار والتفشي تفرق لجزئيات الهواء ، كما أن بعثرة النفَس أثناء خروج صوت هذا الحرف يماثل الأحداث التي تتم فيها البعثرة والانتشار . وقد ورد في المعجم الوسيط تسعة وأربعون مصدراً تبدأ بالشين تدل معانيها على البعثرة والانتشار والتشتت والاضطراب بما يحاكي بعثرة النفَس عند خروج صوته، ، منها: شأشأ القوم (تفرقوا)، و شذا المسك شذواً (قويت رائحته وانتشرت)، شَظِيَ القوم وتشذّروا (تفرقوا) ، تشعب الشيء وتشعَّث (تفرق) . وورد ثلاثة وأربعون مصدراً تنتهي بالشين تدل معانيها على البعثرة والانتشار والاضطراب مادياً ومعنوياً ، بما يتوافق مع بعثرة النَّفَس عند خروج صوت الشين. منها: بغشت السماء (أرسلت مطرا خفيفاً.) ،جاش الماء جيشاً (تدفق وجرى)، رشّت السماء(أمطرت)، رعش (ارتجف)، رغش (شغب)، ارتهش (ارتعش)، فرش النبات (انبسط على وجه الأرض)، نشنش

[1] . ينظر : عباس ، حسن : خصائص الحروف العربية ومعانيها. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.ص114

الطائر (نتف ريشه وألقاه)، نفش (تفرق وانتشر بعد تلبد)، هاش القوم هوشاً وهيشا (هاجوا واضطربوا).([1])

3- التأثير النفسي : ينجم التأثير النفسي من مشهد يم القيامة حينما تتحول صلابة الجبال إلى صوف منفوش ، ويتحول الناس إلى فراش مبثوث" فالصورة كلها أهوال مرعبة، من مطلعها إلى خاتمتها، وترتسم الأهوال في التصوير والتعبير معا، فالقارعة، بجرسها الشديد، وتكرار الاستفهام أيضا، يضخم من هذه الأهوال المرسومة، ثم في حركة الناس كالفراش المبثوث، وصورة الجبال المنفوشة، والأعمال الموزونة، ونتائج الأعمال، وختام السورة بالنار الحامية، يتناسق مع مطلع القارعة المخيف. وتتفاعل صورة الناس، وصورة الجبال، مع جوّ الأعمال الموزونة، فالناس بأحجامهم وأثقالهم، كالفراش انتشارا وخفة، والجبال الراسية الثقيلة، منفوشة كالصوف، فليس في هذا المشهد المرسوم قيمة إلا للأعمال الموزونة، التي تحدّد مصائر البشر، فهي التي تبرز في المشهد، وتركّز عليها أضواء التصوير."([2])

ويعجب الإنسان من دقة هذا التشبيه القرآني المعجز، وهذا يدفع القارئ إلى التأمل والتفكر في هذه الحشرة اللطيفة ودورة حياتها وحركتها وما فيها من إعجاز يستحيل خلق مثلها. فالفراشة من الكائنات التي تبيض ما يقارب من (450_500) بيضة في المرة الواحدة.

---

[1] . ينظر : عتيق، عمر : الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية . مجلة المنارة \ جامعة آل البيت، الأردن ، م 16 ، ع 3 ، 2010، ص184 وينظر : عباس ، حسن : خصائص الحروف العربية ومعانيها. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.ص114

[2] . الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص337

والفراشة من الحشرات حرشفية الأجنحة، والتي تتميز بأربعة أجنحة مغطاة بحراشيف مفلطحة تلتصق بالأصابع كالبودرة، مما يمثل صورة من صور الضعف المدرك في الخلق.([1])

وتبدأ اليرقات فورا في تناول الطعام الذي تلتهمه بكميات كبيرة وبشراهة ملحوظة فتنمو في الحجم بسرعة مما يضطرها إلى الانسلاخ عن الجلد لمرات عدة , فتشبه في عريها خروج الموتى من الأجداث (حفاة عراة) كما وصفهم رسول الله.

تتشرنق اليرقات فيما يشبه الكفن أو القبر أو تربط نفسها برباط من حرير إلى النبات الذي تتغذى عليه استعدادا للمرور بمرحلة العذراء (الحورية) أو الخادرة (المستترة في خدرها)، وفي هذه المرحلة يعاد خلق الحشرة بأكملها، وكأنها عملية بعث لها حيث تذاب اليرقة ذوبانا كاملا، ثم يعاد بعثها بعد أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع على هيئة الحشرة الكاملة، وهي تختلف تماما عن اليرقة التي جاءت منها، وكأنه البعث من جديد، وكذلك يبعث الناس في أواسط أعمارهم.وتمضي بعض العذارى (الحوريات) فصل الشتاء كله في مرحلة الخادرة (المستترة)، ولذلك تؤجل عملية التحول الكيميائي العجيب حتى مطلع الصيف، وكأنها في عملية بيات شتوي أو في القبر.

وبعد تمام تخلق العذراء تستعد للخروج من خدرها (شرنقتها) تماما كما يستعد الميت الذي بعث للخروج من قبره، فيتحول جلد الخادرة إلى حالة نصف شفافة، ثم ينشق كما تنشق القبور عن أصحابها. وتخرج عذارى الفراش بالملايين من شرنقاتها ضعيفة هزيلة زاحفة ببطء في

---

[1]. ينظر : النجار, زغلول راغب محمد :الحيوان في القرآن الكريم . ط1, دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع–بيروت: لبنان, 2005,ص360

اضطراب وحيرة، كما سيخرج مئات البلايين من البشر من قبورهم في ذهول واستغراب واضطراب وحيرة.([1])

والتشبيه القرآني للناس في لحظة البعث بالفراش المبثوث تشبيه معجز لأن دورة حياة الفراش لم تعرف إلا في القرنين الماضيين وسبق القرآن الكريم بهذا الوصف العلمي الدقيق الذي جاء به في مقام التشبيه لما يُشهد لهذا الكتاب الخالد بالدقة والشمول والكمال.([2])

قال تعالى :" خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ"([3])

تتوافق مادتا المشبه به (جراد) ، والنعت (منتشر) في المعنى المعجمي الدلالي, فالجرد: أخذ الشيء عن الشيء عسفا وجرفا؛ ومنه سمي الجارود وهي السنة الشديدة المحل كأنها تهلك الناس. وقيل أرض جراد:أي أرض قحط .([4]) و"تَشْبِيهُهُمْ بِالْجَرَادِ الْمُنْتَشِرِ فِي الِاكْتِظَاظِ وَاسْتِتَارِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ زِيَادَةٌ عَلَى مَا يُفِيدُهُ التَّشْبِيهُ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالتَّحَرُّكِ".([5]) وقيل الجراد في الكثرة والتموّج,ويقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض:

---

[1] . ينظر: النجار, زغلول راغب محمد :الحيوان في القرآن الكريم .سنة النشر 2005,ص 104

[2] . الخطيب,عدنان حسن : البيان. مجلة البيان الالكترونية العدد18-يوليو 2014
www.albayan.ae/supplements/ramadan

[3] . القمر: 7

[4] .لسان العرب : مادة جرد

[5]. ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير. ج27 ، ص 177

جاءوا كالجراد([1]) منتشر في كل مكان لكثرته مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ مسرعين مادي أعناقهم إليه. وقيل: ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم.([2])

ينبغي الكشف عن التواصل الدلالي بين السياق الأكبر والسياق الأصغر لنعت المشبه به في قوله تعالى : "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8)".([3])

يبرز التقارب الدلالي بين مكونات السياق الأكبر للآيات والسياق الأصغر لنعت المشبه به على النحو الآتي :

1-دلالة الحركة والتتابع:

من السور التي اقتصرت فواصلها على صوت واحد، سورة القمر وهي خمس وخمسون آية، جاء صوت الراء فاصلة لآياتها, ومن المعلوم أن صوت الراء يوصف بأنه صوت تكراري إذا كان صوت الراء مشدداً أو ساكناً. و يشتمل صوت الراء على حركات متتابعة وسريعة ناجمة عن آلية نطقه . ولا تخفى الحركة السريعة المتتابعة للجراد المنتشر .وتتجلى دلالة الحركة في صورة انشقاق القمر "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"، وحركة المعرضين وانصرافهم عن آيات

---

[1] .الدبا: الجراد قبل أن يطير

[2]. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.ج4 ،ص 432

[3] . القمر : 1-8

الله "وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا" ، ومشهد بعثرة القبور وخروج الناس منها([1]) "يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ"([2]).

2-الدلالة الصوتية الإيقاعية :

تتضمن حركة الجراد المنتشر في نعت المشبه به صوت الجراد (صرير) ، ولا شك أن صوت الجراد يقارب في سرعته وشدته الصوت الناجم عن خروج الناس من الأجداث . وتحفل الآيات بأصوات مناظرة ناجمة عن مشهد قيام الساعة حينما تسرع جموع الناس في سيرها نحو الداعي، الذي يدعوها لأمر غريب نكير شديد لا تعرفه ولا تطمئن إليه. وفي أثناء هذا التجمع والخشوع والإسراع يقول الكافرون :"هذا يوم عسر" ([3])

وصورة الجراد تقارب مشهد الجموع المحشورة، بكثرتها، وانتشارها، وهي تحث خطاها، نحو الداعي الذي يدعوها إلى شيء لا تعرف عنه شيئا، ولكن الأهوال في المحشر، ترتسم على محيّا الوجوه، فتبدو الأبصار خاشعةً من شدة الهول والكرْب والفزع، وتجسّم معاناة الناس في قوله تعالى على لسانهم "هذا يَوْمٌ عَسِرٌ".([4])

3-العلاقة التكاملية بين نعت المشبه به والإعجاز العلمي

يصل عدد الجراد المهاجر في السرب الواحد إلى عشرات البلايين ، ومن هنا كان تشبيه خروج الخلق الذين عمَّروا الأرض من أول وجودهم عليها إلى آخر لحظة من هذا الوجود، (والذين يصل عددهم إلى عشرات بل مئات البلايين) بالجراد المنتشر، وهو تشبيه في غاية

---

[1] . ينظر : عتيق ، عمر : ظواهر ~أسلوبية في القرآن الكريم . ص 414

[2] . القمر : 7

[3] . ينظر : قطب. ، سيد : في ظلال القران الكريم . ج6 ، ص 3428

[4]. المرجع السابق, ج6 , ص325

الدقة العلمية؛ لأن سرب الجراد المهاجر يغطي مساحات من الأرض تقدر بأكثر من ألف كيلومتر مربع, وهكذا سوف تكون مساحات الحشر, ويتراص الجراد المهاجر على ارتفاعات قريبة من سطح الأرض بكثافات تتراوح بين المليون وعشرات الملايين جرادة في الكيلومتر المربع الواحد . وتعرف باسم الأسراب الطباقية . وهكذا سوف يتزاحم الناس وهم يساقون إلى أرض المحشر, وتتحرك أسراب الجراد بانضباط شديد تحت قيادة صارمة في مقدمة السرب,وهكذا سيكون الخلق في ساعة الحشر. والجراد يطير عارياً تماماً ,والناس يحشرون حفاة, عراة, كما قال خاتم الأنبياء والمرسلين . صلى الله عليه وسلم . لا يغطيهم إلا جلودهم وبذلك فإن هذا التشبيه القرآني معجز.([1])

يجمع الانتشار بين التشبيهين: تشبيه الناس عند البعث بالفراش المبثوث، وتشبيههم بالجراد المنتشر، ولكن هناك فرقا في طبيعة الحركة، فالفراش يطير لا لجهة يقصدها، بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى، أما الجراد فتطير جميعها لجهة مقصودة، ولذلك قال بعض المفسرين: إن الوصف في الآيتين لموقفين مختلفين يوم القيامة: أحدهما عند الخروج من القبور، يخرج الناس فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض، فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض، والثاني عند سماع المنادي فيستجيبون له ويقصدونه، فصاروا كالجراد المنتشر.([2])

---

[1] .ينظر: النجار, زغلول راغب محمد :الحيوان في القرآن الكريم .سنة النشر 2005,ص 99

[2] . الخطيب,عدنان حسن : البيان. مجلة البيان الالكترونية العدد18-يوليو 2014 www.albayan.ae/supplements/ramadan

مشهد الجنة:

وردت لفظة الجنة في القرآن مفردةً ومجموعةً ،ومعرفة ونكرة في سور كثيرة، و المعنى المعجمي للجنة البستان, والخضرة الدائمة, والجنان الجميلة، وتعني أيضاً الستر والخفاء؛ لأن المادة اللغوية (جنن) تفيد في الغالب الستر والخفاء .([1])

وللجنة أوصاف وأسماء كثيرة، ومنها:

1- جنة الخلد وذلك ظاهر في قوله تعالى: "أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون"([2])، فالخلود في الجنة يدل على بقاء الأشياء على حالها من غير فساد , وأصحاب الجنة يكونون دائماً في نعيم لا ينقطع لأنهم خالدون فيها.

2- جنة النعيم: أي ذات نعم كثيرة أنعم الله بها على المؤمنين.

3- جنة المأوى: أي أنها الجنة التي أوى إليها سيدنا آدم عليه السلام, وهي التي يأوي إليها المؤمنون, وذلك واضح في قوله تعالى: "وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى"([3])

4- جنات عدن: وهي البساتين الخالدة دائمة الاستقرار والثبات التي لا ينضب ما فيها ولا يقل.

---

[1] .لسان العرب : مادة جنن

[2] . البقرة، 82

[3] . النازعات: 40-41

5- دار السلام: وذلك واضح في قوله تعالى "لهم دار السلام عند ربهم وهو وليّهم بما كانوا يعملون"([1]) فالسلام اسم من أسماء الله تعالى، والدار هي المكان أو المنزل، فدار السلام, أي المكان, والدار التي أعدها الله تعالى لأوليائه المتقين ففيها "السلامة الحقيقية إذ فيها بقاء بلا فناء, وغنى بلا فقر, وعز بلا ذل, وصحة بلا سقم, وسلامة من الهموم والأحزان, والآفات, والنقائص, والنكبات فهي دار سالمة دائمة لا تنقطع ولا تفنى ولا تبيد, وسلامة من الموت, والهرم وفيها من النعيم ما الله به عليم، وقد أضيفت الدار لاسم من أسماء الله تشريفاً وتعظيماً"([2])

6- طوبى: قال تعالى: "الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مئاب"([3])

وهناك أسماء أخرى كثيرة عن الجنة منها الفردوس ودار المقامة ومقام أمين، وقدم صدق، ومقعد صدق، وهذه الأسماء كلها تدل على النعيم الأبدي في الجنان التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين .

أما من حيث وصف الجنة فلقد ذكر القرآن الكريم أوصاف كثيرة للجنة منها أن سعتها كعرض السماوات والأرض، كما أن للجنة مراتب ومنازل فالشهداء لهم منزلة, والأولياء الصالحين كذلك, والرسل لهم درجة كل له درجة ومرتبة في الجنة .

---

[1] . الحشر: 23

[2] . نصار، عبد الحليم بن محمد: صفة الجنة في القرآن الكريم. ط1، دار العلوم والحكم، سوريا، ، 2005، ص80

[3] . الرعد: 29

قال تعالى "كأنهن بيض مكنون" ([1])

قالت العرب: فلان أبيض وفلانة بيضاء فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب, وبيضاء الوجه أي وجهها أبيض ،ويمتاز بنقاء اللون من الكلف والسواد .([2]) والمشبه به (بيض) يتناسب مع النعت (مكنون) الذي يعني وقاء كل شيء وستره ,ومعنى أكن الشيء ستره,([3])وبيض مكنون أي مستور من الشمس وغيرها . والعرب تشبه النساء بالبيض ويقولون لهن بيضات الخدور، والبياض المشوب بقليل صفرة في النساء مرغوب به , والبياض المشوب بقليل حمرة في الرجال وأما البياض الصرف فغير محمود.([4]) وقيل في معنى البيض المكنون : " بيض النعام، والنعام يكنّ بيضه في حفر في الرمل ويفرش لها من دقيق ريشه، وتسمى تلك الحفر: الأداحيّ, فيكون البيض شديدا للمعان اللون وهو أبيض مشوب بياضه بصفرة وذلك اللون أحسن ألوان النساء، وقديماً شبهوا الحسان ببيض النعام"([5])

ويتناسب معنى المكنون مع البياض، وذلك أن المقصود بهذه الآية أن الحوريات في الجنة شديدات البياض لم يمسهن أي أحد ولم تصل إليهن الأيدي، فلقد وصفهن الله تعالى بالبيض المكنون والمراد تشبيههن بالبيض الذي كنّه الريش في العش أو غيره فلم تمسه الأيدي, ولم يصبه الغبار في الصفاء وشوب البياض بقليل صفرة مع لمعان كما في الدر.([6])

---

[1] . الصافات:49

[2] .لسان العرب : مادة بيض

[3] .لسان العرب :مادة كنن

[4] . ينظر : الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق : علي عبد الباري عطية ,ج12,ص87

[5] . ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص115

[6] . ينظر : الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج12,ص87

وترى الباحثة أن المقصود بالبيض المكنون أي الجمال المستور ، ونرى أنه يشبه الغشاء الرقيق في البيضة الذي يكون بين القشرة واللب وهذا الجزء لا يمسه أحد ولا تطاله الأيدي، وذلك أن القشرة يلامس سطحها العش وكذلك ريش النعام، أما الجزء الذي يلي القشرة فلا تطاله الأيدي ، لأنه مستور مكنون، ورقتهنّ تشبه رقة هذه القشرة الرقيقة .

ويتوافق النعت والمشبه به مع السياق العام للآيات " يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (47) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ"([1])

1- الدلالة اللونية : "يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49)" فالكأس هو الخمر ولون الخمر يكون أبيض وخمر الجنة يتصف بالمذاق اللذيذ الذي لا يسكر, ولا يسبب صداعا أو خمولا مثل خمر الدنيا , والبيض المكنون هي صفاء اللون ونقائه لأن البيض يكون صافي اللون نقي إذا كان تحت الطائر.

2- الصورة الجمالية :" وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49)" فالعِينٌ جمع عيناء وهي واسعة العين في جمال، ومنه قيل للبقر الوحشي عين، وقيل: العيناء واسعة العين أي كثيرة محاسن عينها , وتتصف نساء الجنة بأنهن عفيفات لا ينظرن إلى

---

[1] . الصافات: 38-52

غير أزواجهن , وتتصف عيونهن بالجمال والعفة والحسن , ويتميزن بأحسن الألوان , والمكنون أي أنهن بالأصداف لا تمسهن الأيادي عفيفات .

واستئناسا بما تقدم يستحق المتقون هذه الحوريات العين الجميلات ذوات البشرة البيضاء التي تميل إلى الصفرة التي لم يلمسها أحد ولم تطالها الأيدي.

عذاب جهنم:

قال تعالى :-" كَأَنَّهُ جِمَٰلَت صُفر"([1])

تعني جمالات ذكر الإبل([2])"وَالصُّفْرُ مَعْنَاهَا السُّودُ فِي قَوْلِ الْمُفَسِّرِينَ. قَالَ الْفَرَّاءُ: الصُّفْرُ: سَوَادُ الْإِبِلِ، لَا يُرَى أَسْوَدُ مِنَ الْإِبِلِ إِلَّا وَهُوَ مُشْرَبٌ صُفْرَةً، لِذَلِكَ سَمَّتِ الْعَرَبُ سُودَ الْإِبِلِ صُفْرًا. قِيلَ: وَالشَّرَرُ إِذَا تَطَايَرَ وَسَقَطَ وَفِيهِ بقية من لون النار أشبه بِالْإِبِلِ السُّودِ".([3])

كل شررة كالقصر من القصور في عظمها. وقيل: هو الغليظ من الشجر، الواحدة قصرة، نحو: جمرة وجمر. وقرئ: كالقصر، بفتحتين: وهي أعناق الإبل، أو أعناق النخل، نحو شجرة وشجر.([4])

ينهض التشبيه بدلالة تأثيرية عميقة تتوافق مع السياق العام للآيات

---

[1].المرسلات :33

[2] . المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم:مادة جمل

[3] . الشوكاني , محمد بن علي بن محمد :فتح القدير .ط, دار الكلم الطيب دمشق , ج5 ، ص434

[4] . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج 4 ، ص 682

قال تعالى:- " انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (30) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ (33) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34)"

أولًا- التجاذب الحركي الصوتي: تمثل الصورة تتابعا في التشبيه وانتقالا من الحركة إلى اللون، فالآية السابقة، : (إنها ترمي بشرر كالقصر) تصوير للحركة الموحية بالكثرة والتتابع، فالقذف للشرار ينتشر في كل مكان ويبدو حجماً كبيرًا كالقصر، واللافت للنظر هنا تحوير الدلالة " فالقصر في واقع المتلقي النفسي له دلالة إيجابية، فهو يعني السلطة والرفاهية والعيش القرير، غير أن النص القرآني هنا، ولأجل الإمعان في العذاب فإنه ينقل دلالة القصر إلى دلالة مغايرة، والقصر هنا دليل الهلاك"([1])

هذه الدلالة تتطابق مع لفظة الشرر، فهي تدل على ما يتطاير من النار،مع اللمعان البريق، والدلالة في العرف الاجتماعي تميل إلى مدلول الخوف والرهبة، ويظهر هذا في ما يقال (عيناه تقدحان شررا) " وإذا ما ذهب باتجاه التفسير الذي يميل إلى اللون الأسود، فإن الدلالة لا تبعد عن معاني الخوف والرهبة، وللنار والشرار صفة السواد، ولهذا المعنى أثر وصدى، قال ابن قتيبة: والشرر إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار أشْبه شيء بالإبل السود لما يشوبها من الصفرة([2]).

---

[1]. الزعبي ,خالد موسى حسين:صورة الجحيم في القرآن الكريم .رسالة ماجستير , اشراف :حسين كتانة .جامعة آل البيت ,2005,ص9

[2].ابن قتيبة ,محمد عبد الله مسلم . تأويل مشكل القرآن .تحقيق :إبراهيم شمس الدين .دار الكتب العلمية بيروت _لبنان ,ص 321

فالصورة هنا تقرب المشهد الغيبي، وتجعله حاضرا، على طريقة القرآن في تصوير مشاهد القيامة. فالقيامة هنا كأنّها حاضرة، لذلك جاء فعل الأمر بالانطلاق إليها، للاطلاع على ما فيها من أهوال «انطلقوا» ويكرّر فعل الأمر بالانطلاق، لرؤية هذا المشهد المخيف، وإحياء المشهد بهذه الحركة التخييلية. ثم يبدأ استعراض المشهد وما فيه من صور مرعبة للنار، فدخانها كثيف متصاعد، في شعب ثلاث، وشرارها متطاير بكتل ضخمة، يتناثر هنا وهناك. وضخامة الدخان، وضخامة الشرر المتطاير، يعبران عن ضراوة النار وشدّتها.([1])

[1] . الراغب ، عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص 355

الفصل الثالث: النعت للمشبه به المركب

المبحث الأول :نعت الحياة الدنيا

المبحث الثاني :نعت أعمال المؤمنين

المبحث الثالث: نعت أعمال الكافرين

تؤكد الباحثة أن فضاء الفصل الثالث يختص بما اصطلح عليه البلاغيون بـ " التشبيه التمثيلي " الذي تتشكل فيه صورة المشبه به من نسيج لغوي يتألف من نعوت مركبة ناجمة من تتابع جمل فعلية أو اسمية أو أشباه جمل . وأن النعوت المركبة كلها تشكل صورة المشبه به . ومن المعلوم أن النسيج اللغوي لصورة المشبه به في التشبيه التمثيلي يأتي بأشكال نحوية عدة ، لذا اختارت الباحثة النسيج اللغوي للمشبه به الذي يتكون من النعوت المركبة للفصل الثالث ، لأن عنوان الدراسة (نعت المشبه به في القرآن الكريم). ومن المفيد إيراد مثالين من التشبيه التمثيلي ، الأول تأتي فيه صورة المشبه به خالية من النعت المركب . والثاني : تتشكل فيه صورة المشبه به من نعوت مركبة متتابعة تؤلف كلها صورة المشبه به.

المثال الأول قوله تعالى : ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشّيطان فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[1] فالتَّشْبِيهَ هُنَا لَا يَخْرُجُ عَنِ الْمُتَعَارَفِ فِي التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ، فَهَذَا الضَّالُّ تَحَمَّلَ كُلْفَةَ اتِّبَاعِ الدِّينِ الصَّالِحِ وَصَارَ يَطْلُبُهُ فِي حِينٍ كَانَ غَيْرَ مُكَلَّفٍ بِذَلِكَ فِي زَمَنِ الْفَتْرَةِ فَلَقِيَ مِنْ ذَلِكَ نَصَبًا وَعَنَاءً، فَلَمَّا حَانَ حِينُ اتِّبَاعِ الْحَقِّ ببعثة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَمَّلَ مَشَقَّةَ الْعِنَادِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ فِي وَقْتٍ كَانَ جَدِيرًا فِيهِ بِأَنْ يَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَائِهِ لِحُصُولِ طِلْبَتِهِ فَكَانَتْ حَالَتُهُ شَبِيهَةً بِحَالَةِ الْكَلْبِ الْمَوْصُوفِ بِاللَّهَثِ، فَهُوَ يَلْهَثُ فِي حَالَةِ وُجُودِ أَسْبَابِ اللَّهَثِ مِنَ الطَّرْدِ وَالْإِرْهَابِ وَالْمَشَقَّةِ وَهِيَ حَالَةُ الْحَمْلِ عَلَيْهِ، وَفِي حَالَةِ الْخُلُوِّ عَنْ ذَلِكَ السَّبَبِ وَهِيَ حَالَةُ تَرْكِهِ فِي دَعَةٍ وَمُسَالَمَةٍ، وَهَذَا التَّمْثِيلُ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ اللَّهَثَ

[1] الأعراف: 175 – 176

حَالَةٌ تُؤْذِنُ بِحَرَجِ الْكَلْبِ مِنْ جَرَّاءِ عُسْرِ تَنَفُّسِهِ عَنِ اضْطِرَابِ بَاطِنِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِاضْطِرَابِ بَاطِنِهِ، سَبَبٌ آتٍ مِنْ غَيْرِهِ.([1])

يخلو النسيج اللغوي لصورة المشبه به في الآية السابقة من النعوت المركبة ، ولهذا استبعدت هذه النماذج من التشبيه التمثيلي من الدراسة . فالنسيج اللغوي لصورة المشبه به في الآية السابقة يتألف من «تَحْمِلْ» مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط تعلق به الجار والمجرور ،وفاعله أنت، والجملة في محل نصب حال. و«يَلْهَثْ» مضارع مجزوم جواب الشرط وفاعله ضمير مستتر والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم لم يقترن بالفاء أو إذا الفجائية. «أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ» عطف. ([2])

المثال الثاني قوله تعالى :"أَوْكَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُور" ([3]) تتألف صورة المشبه به من تتابع جمل فعلية واسمية وأشباه جمل تؤلف نعونا مركبة للمشبه به، فشبه الجملة من الجار والمجرور (في بحر لجي) هي أول جملة نعت للمشبه به . وجملة النعت الثانية جملة فعلية (يغشاه موج). وتمثل جملة الجار والمجرور (من فوقه موج) جملة النعت الثالثة للمشبه به.وكذلك جملة النعت (بعضها فوق بعض).ومن المفيد التنبيه أن هذه النعوت المركبة كلها تؤلف صورة المشبه به, وتأسيسا على ما تقدم يحلل الفصل الثالث صورة المشبه به المؤلفة من نعوت مركبة دون إغفال التواصل الدلالي والفني بين صورة المشبه وصورة المشبه به .

---

[1] انظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 9 ، ص 178

[2] . انظر : الدعاس ، أحمد عبيد ، وزميلاه : إعراب القرآن الكريم . ط1 ، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، 1425 هـ ، ص 407

[3] . النور : 40

المبحث الأول: نعت الحياة الدنيا

يستعمل لفظ الحياة في القرآن الكريم على ثمانية أوجه وهي:

1- الخلق الأول، 2- المؤمن المهتدي، 3- الإحياء: الإبقاء، 4- الحياة: حياة الأرض ونماؤها بالنبات، 5- الإحياء للعبرة قبل يوم القيامة من غير رزق ولا أثر في الدنيا، 6- الحياة الأخروية الأبدية، 7- الحياة الدنيا، 8- الحياة التي يوصف بها الباري"([1])

أخبرنا الله تعالى عن حقيقة الحياة الدنيا في كثير من الآيات الكريمة ، وأولى هذه الآيات قوله تعالى "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"([2])، أي متاع زائل ذاهب ببهرجه وجماله ، وقوله تعالى: "وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو"([3])، فجعل الله تعالى أعمال الدنيا "لعباً ولهواً واشتغالاً بما لا يغني ولا يعقب منفعة، كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة([4])"، وتصف الآيات الحياة الدنيا بأنها متاع غرور ولعب ولهو .

يدعونا رب العالمين إلى التفكر والتدبر في سنن الكون وأحداث الحياة الدنيا ؛ للموعظة والعبرة ولإدراك معجزة الكون الكبرى كي يتحقق الهدف السامي لاستخلاف الإنسان في الأرض . وتتمثل السنن بما هو آت :

1- السنن الكونية المرتبطة بالسنن في حياة الناس.

2- سنة الله في تغير حال الناس.

---

[1] . ينظر: جزولي، أحزمي سامعون: الحياة في القرآن الكريم دراسة موضوعية. ط1 ، دار طويق، الرياض، ج1، 1997، ص27

[2] . آل عمران: 185

[3] . الأنعام:32

[4] . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج2، ص338

3- سنة الله في مداولة الأيام بين الناس.

4- سنة الله في إهلاك الأمم.

5- سنة الله في عدم إهلاك الأمم إلا بعد إنذار.

6- سنة الله في النصر لأوليائه.

7- سنة الله في إقامة الحق([1])"

قال تعالى((وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً))([2])

تشكل هذه الآية امتدادا للحديث عن الكافرين المتكبرين، وهي تمثيل لافت للحياة الدنيا من حيث عناصر صورة المشبه به، فما بهجة الدنيا إلا محطة عابرة لا ديمومة لها، وتفضي صورة المشبه به إلى مضاعفة حسرة المتعلقين بالدنيا المراهنين على خلودهم، فالمحطة قصيرة جدا، ولحظات الفرح كطرفة عين ولا تستحق هذا التعلق المفضي إلى الخسران.

تمثل كلمة "الماء " نواة صورة المشبه به ولا يتضح المعنى بتشبيه الحياة الدنيا بالماء إلا إذا اكتملت صورة المشبه به بالتركيب النحوي (أنزلناه) وهو جملة فعلية تمثل أول نعت للمشبه به , ويشتمل الفعل (أنزل) على معنى الانحدار من الأعلى إلى الأسفل ,

[1] . جزولي، أحزمي سامعون، الحياة في القرآن الكريم دراسة موضوعية، ص38

[2] .الكهف :45

ويقال نزلت عليهم الرحمة, ونزل عليهم العذاب,والنزل المطر .([1]) ويوازن بعض المفسرين بين خصائص الماء وحالاته وصفاته وصفات الدنيا وتقلباتها ، إذ شبه الله تعالى الدنيا بالماء" لِأَنَّ الْمَاءَ لَا يَسْتَقِرُّ فِي مَوْضِعٍ، كَذَلِكَ الدُّنْيَا لَا تَبْقَى عَلَى وَاحِدٍ، وَلِأَنَّ الْمَاءَ لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ كَذَلِكَ الدُّنْيَا، وَلِأَنَّ الْمَاءَ لَا يَبْقَى وَيَذْهَبُ كَذَلِكَ الدُّنْيَا تَفْنَى، وَلِأَنَّ الْمَاءَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ وَلَا يَبْتَلَّ كَذَلِكَ الدُّنْيَا لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ دَخَلَهَا مِنْ فِتْنَتِهَا وَآفَتِهَا، وَلِأَنَّ الْمَاءَ إِذَا كَانَ بِقَدْرٍ كَانَ نَافِعًا مُنْبِتًا، وَإِذَا جَاوَزَ الْمِقْدَارَ كَانَ ضَارًّا مُهْلِكًا، وَكَذَلِكَ الدُّنْيَا الْكَفَافُ مِنْهَا يَنْفَعُ وَفُضُولُهَا يَضُرُّ."([2])

وتدل البنية المعجمية لمادة (نزل) على التوافق الدلالي بين النعت(الماء) والمشبه به ، لأن من معاني مادة نزل المطر ، فالنَّزَل المطرُ.([3]). وتوحي مادة (نزل) بالمصير الذي آل إليه نبات الأرض ، لأن معنى أَرض نَزِلة ومكان نَزِلٌ بيِّن النَّزالة إذا كانت تَسِيل من أَدنى مطر لصَلابتها ،ومكان نَزِل سريعُ السيل .([4])، فالأرض النزلة لا تمتص الماء ، ويحدث فيها سيل ، فهي غير صالحة للزراعة ، فلا أثر للحياة فيها ، كذلك صورة النبات في الآية تحول إلى هشيم تذروه الرياح .

وتعزز الجملة المعطوفة (فَأَصْبَحَ هَشِيماً) صورة المشبه به فالهشيم هو"كل ما كان رطبا ويبس فهو هشيم، ويقال: صارت الأرض هشيما أي صار ما عليها من النبات والشجر يابسا متكسرا وللهاء مع الشين (هشّ) خاصية التكسر والتحطيم والرخاوة وكل ما هو غير

---

[1] . لسان العرب : مادة نزل

[2] . القرطبي ,أبو عبد الله أحمد بن محمد : الجامع لأحكام القرآن. ج10, ص 412

[3] . لسان العرب : مادة نزل

[4] . لسان العرب : مادة نزل

مقاوم فالهش الرخو اللين من كل شيء . ويقال فلان هشّ المكْسَر أي سهل الجانب فيما يطلب عنده من الحوائج يكون ذلك مدحا وذما .والهشيش كالهشيم . وشجرة هشرة وهشور: يسقط ورقها سريعا .والهيشر من الرجال الرخو الضعيف الطويل. والهشم من الجبال الرخوة, وتهشمت الأرض أجدبت لانقطاع المطر عنها."([1]) ويتضح من حزمة الدلالات التي يتضمنها لفظ الهشيم, أن صورة المشبه به لا يمكن أن تستقيم بلفظ الماء وحده ، وأن لفظ المشبه به يحتاج إلى التراكيب النحوية التي تقع بعده .

ويتوالى عطف الجمل في التشبيه المركب بقوله تعالى: (تذروه الرياح) " أَيْ تُفَرِّقُهُ فِي الْهَوَاءِ. وَالذَّرْوُ: الرَّمْيُ فِي الْهَوَاءِ. شُبِّهَتْ حَالَةُ هَذَا الْعَالَمِ بِمَا فِيهِ بِحَالَةِ الرَّوْضَةِ تَبْقَى زَمَانًا بَهِجَةً خَضِرَةً ثُمَّ يَصِيرُ نَبْتُهَا بَعْدَ حِينٍ إِلَى اضْمِحْلَالٍ. وَوَجْهُ الشَّبَهِ: الْمَصِيرُ مِنْ حَالٍ حَسَنٍ إِلَى حَال سيّء. وَهَذَا تَشْبِيهُ مَعْقُولٍ بِمَحْسُوسٍ؛ لِأَنَّ الْحَالَةَ الْمُشَبَّهَةَ مَعْقُولَةٌ إِذْ لَمْ يَرَ النَّاسُ بَوَادِرَ تَقَلُّصِ بَهْجَةِ الْحَيَاةِ، وَأَيْضًا شُبِّهَتْ هَيْئَةُ إِقْبَالِ نَعِيمِ الدُّنْيَا فِي الْحَيَاةِ مَعَ الشَّبَابِ وَالْجِدَةِ وَزُخْرُفِ الْعَيْشِ لِأَهْلِهِ، ثُمَّ تَقَلُّصِ ذَلِكَ وَزَوَالِ نَفْعِهِ ثُمَّ انْقِرَاضِهِ أَشْتَاتًا "([2]) وتشتمل صورة المشبه به على قيمة تربوية يجد فيها المتلقي فضاء من التأمل والتفكر والموعظة ، لأن غاية هذا التصوير هو التزهيد بالدنيا. أي أن صورة الدنيا في ميزان الله أقل من أن توصف بكلام، وفي محاولة لتقريب صورة لأذهاننا عن الدنيا الزائلة ، غير أن الصورة تبقى قاصرة عن الوصف الحقيقي لمكانتها وهنا يكمن الإعجاز.

---

[1] . درويش ,محي الدين بن أحمد: إعراب القرآن وبيانه. ج5, ص 614

[2] . ابن عاشور,محمد الطاهر : التحرير والتنوير. ج15, ص 331

يكشف سياق المشبه به عن تحول متسارع يهبط باتجاه النهاية والانكسار والتلاشي، ويظهر هذا عبر استخدام حروف العطف (الفاء)، متلو بفعل ماض (اختلط ، أصبح) يدل على التحقق ، لأن الفعل الماضي يدل على حدث وقع وتحقق ، ووقع هذا على النفس ذات البصيرة ، فالدنيا كلها إلى زوال، والحياة بمجملها محطة عابرة في طريق الخلود في الحياة الآخرة، فعلام الجنوح والجنون والمغالاة في التعلق بهذه الدنيا؟

الحياة الدنيا لعبة ، لكل إنسان دور فيها عليه أداؤه، صغيراً كان أم كبيراً. واللهو هو الانتقال من حال إلى حال، فالنوم يلهي عن اليقظة، والعمل يلهي عن الراحة وهكذا، وكلما كانت مجالات الحركة أكثر اتسع مجال العبادة بين الطاعة والمعصية، فالإنسان يتعرض خلال يومه إلى كثير من المواقف التي تمتحن فيها أخلاقه، أما من يبقى منعزلاً فهو كمن لا يدخل الامتحان، والسجين مثلاً تنخفض لديه بنود اللهو إلى الحد الأدنى، نظراً لفقدانه الحرية، والله سبحانه طلب منا العمل ليرى نتيجة أعمالنا .

والزينة من مجالات اللهو، والمسكن يحتاج لفرش وأدوات منزلية،وكلها ضمن الزينة.

أما التفاخر فطبيعة الناس حب التباهي، والدول تتباهى بصناعاتها واختراعاتها. وكل أهل الأرض يميلون إلى الإنجاب وجمع المال.

والله تعالى شبه الحياة الدنيا بالغيث، أي أسبغ عليها الرحمة، إذ لا يرد الغيث إلا حاملاً الرحمة، على عكس المطر الذي يرد في مجال السخط والعذاب. فالآية لا تذم الحياة الدنيا ولا تمدحها وإنما تصفها بتجرد في قوله تعالى : {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور} فيؤكد أنها لا تصل إلى الكمال، وإنما يبقى الطموح هو الدافع الأساسي فيها لتحقيق ما هو أفضل.

ثانياً:-قال تعالى:- ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُور))([1])

تتسم الصورة التشبيهية بالتعدد والتتابع العطفي ، فالحياة الدنيا في صورة المشبه تتألف من عناصر اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد ، "وَهِيَ أُصُولُ أَحْوَالِ الْمُجْتَمَعِ فِي الْحَيَاةِ، وَهِيَ أَيْضًا أُصُولُ أَطْوَارِ آحَادِ النَّاسِ فِي تَطَوُّرِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّعِبَ طَوْرُ سِنِّ الطُّفُولَةِ وَالصِّبَا، وَاللَّهْوَ طَوْرُ الشَّبَابِ، وَالزِّينَةَ طَوْرُ الْفُتُوَّةِ، وَالتَّفَاخُرَ طَوْرُ الْكُهُولَةِ، وَالتَّكَاثُرَ طَوْرُ الشَّيْخُوخَةِ. وَذَكَرَ هُنَا خَمْسَةَ أَشْيَاءَ"([2]) وصورة المشبه به التي تبدأ بلفظ الغيث تتألف من عناصر الإعجاب بالزرع ، وهياج الزرع ، واصفراره ، وحطامه . واللافت أن دلالة التتابع العطفي بين عناصر صورة المشبه تتسم بالتوافق والانسجام والتكامل الدلالي مع اللعب واللهو والزينة ...الخ ، أما عناصر صورة المشبه به فتتسم بالتحول والتغير من السيء إلى الأسوأ.

---

[1] . الحديد : 20

[2] . ابن عاشور,محمد الطاهر : التحرير والتنوير.ج27, ص 401

فالغيث نال إعجاب الكفار لأن نباته بهيج، ولكن ما يلبث أن يصدم الكافر؛ لأن النتيجة متحولة دائما لا ثبات لها ولا استقرار، وتقترب دلالة تحول حالة الزرع من مفهوم كسر أفق التوقع ، لأن إعجاب الزراع بالنبات تحول إلى دمار وخراب وفناء . وتظهر معاني التحول والتغيير وكسر أفق التوقع باستخدام الأفعال المضارعة (يهيج) فهاجت الأرض يبس بقلها ,وأهاجت الريح النبت تعني أيبسته ,وهيج يبس وأصفر.([1]) وجاءت الجمل بعد لفظ الغيث قصيرة توحي بالسرعة الفائقة للتحول من الفرح إلى الحزن ، ومن الاخضرار إلى الاصفرار، فالغرور لا يفيد والأموال والأولاد وكل ما في الدنيا إلى زوال.

تشتمل الجملة الفعلية (أعجب الكفار نباته)التي جاءت نعتا للمشبه به (غيث) على ثراء دلالي ؛ فالْكُفَّارَ: الزُّرَّاعُ، جَمْعُ كَافِرٍ وَهُوَ الزَّارِعُ لِأَنَّهُ يَكْفُرُ الزَّرِيعَةَ بِتُرَابِ الْأَرْضِ، وَالْكَفْرُ بِفَتْحِ الْكَافِ السَّتْرُ، أَيْ سَتْرُ الزَّرِيعَةِ، وَإِنَّمَا أُوثِرَ هَذَا الِاسْمُ لِلتَّوْرِيَةِ بِالْكُفَّارِ الَّذِينَ هُمُ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ لِأَنَّهُمْ أَشَدُّ إِعْجَابًا بِمَتَاعِ الدُّنْيَا إِذْ لَا أَمَلَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ بَعْدَهُ. وَقَالَ جَمْعٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: الْكُفَّارُ جَمْعُ الْكَافِرِ بِاللَّهِ لِأَنَّهُمْ قَصَرُوا إِعْجَابَهُمْ عَلَى الْأَعْمَالِ ذَاتِ الْغَايَاتِ الدُّنْيَا دُونَ الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ."([2])

تتضمن الصورة التشبيهية الحركة واللون في صورتي المشبه والمشبه به ، فالحركة في اللهو واللعب ، واللون في تحول النبات من حالة إلى حالة وهي مشاهد إيقاعية متسارعة ، فاللعب واللهو والتفاخر صور مشابهة للصور المرئية التي تسير إلى زوال." ففي هذه اللوحة

---

[1] . لسان العرب : مادة هيج

[2] . ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج 27, ص 404

التمثيلية دخلت أشياء تدرك بالحس الظاهر، وأشياء أخرى فكرية ووجدانية، ومنها الحركة، والحياة ومرور الزمن، وأحاسيس النفوس ومشاعرها."([1])

ويسهم التتابع العطفي في تراكيب نعت المشبه به بالكشف عن القيمة الدلالية لصورة المشبه به ، إذ عُطِفَتْ جُمْلَةُ يَهِيجُ بِ (ثُمَّ) لِإِفَادَةِ التَّرَاخِي ؛ لِأَنَّ اصْفِرَارَ النَّبَاتِ أَعْظَمُ دَلَالَةٍ عَلَى التَّهَيُّؤِ لِلزَّوَالِ، وَهَذَا هُوَ الْأَهَمُّ فِي مَقَامِ التَّزْهِيدِ فِي مَتَاعِ الدُّنْيَا. وَعَطَفَ" فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا" بِالْفَاءِ لِأَنَّ اصْفِرَارَ النَّبْتِ مُقَارِبٌ لِيُبْسِهِ، وَعَطْفُ "ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً" بِ (ثُمَّ) كَعَطْفِ ثُمَّ يَهِيجُ. وَالْحُطَامُ: بِضَمِّ الْحَاءِ مَا حُطِّمَ، أَيْ كُسِّرَ قِطَعًا.([2])

ويشتمل التشبيه المركب في الآية على مقاربات بين أطوار حياة الإنسان ، وأطوار حياة النبات لتعزيز إداك الإنسان للحياة الدنيا ، ومضاعفة يقظته إلى زوال المظاهر الخادعة ، إذ إن "هذَا التَّمْثِيلُ مَعَ كَوْنِهِ تَشْبِيهُ هَيْئَةٍ مُرَكَّبَةٍ بِهَيْئَةٍ مِثْلِهَا هُوَ صَالِحٌ لِلتَّفْرِيقِ وَمُقَابَلَةُ أَجْزَاءِ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهَةِ بِأَجْزَاءِ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا، فَيُشَبِّهُ أَوَّلَ أَطْوَارِ الْحَيَاةِ وَإِقْبَالِهَا بِالنَّبَاتِ عَقِبَ الْمَطَرِ، ويُشبّه النَّاسُ المنتفعون بِإِقْبَالِ الدُّنْيَا بِنَاسٍ زُرَّاعٍ، وَيُشَبِّهُ اكْتِمَالَ أَحْوَالِ الْحَيَاةِ وَقُوَّةَ الْكُهُولَةِ بِهِيَاجِ الزَّرْعِ، ويشبّه ابْتِدَاء الشيخوخة ثُمَّ الْهَرَمِ وَابْتِدَاءَ ضَعْفِ عَمَلِ الْعَامِلِ وَتِجَارَةِ التَّاجِرِ وَفِلَاحَةِ الْفَلَّاحِ بِاصْفِرَارِ الزَّرْعِ وَتَهَيُّئِهِ لَلْفَنَاءِ، وَيُشَبِّهُ زَوَالَ مَا كَانَ لِلْمَرَءِ مِنْ قُوَّةٍ وَمَالٍ بِتَحَطُّمِ الزَّرْعِ.([3])

---

[1] . الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: أمثال القرآن. ص 50

[2] . يُنظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج27 ، ص 405

[3] . يُنظر : ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج27 ، ص406

ولا ينبغي أن يُفهم أن وصف الحياة الدنيا باللعب واللهو والزينة يدعو إلى إهمال الأمور الدنيوية ، فنحن مكلفون بإعمار الأرض و"إنما يقصد بها تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية، والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وجاذبيته المقيدة بالأرض. هذا الاستعلاء الذي كان المخاطبون بهذه السورة في حاجة إليه ليحققوا إيمانهم. والذي يحتاج إليه كل مؤمن بعقيدة، ليحقق عقيدته ولو اقتضى تحقيقها أن يضحي بهذه الحياة الدنيا.([1])

قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ(24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) "([2])

الكلمة الطيبة لا تصدر إلا من طيب؛ لأن من يهتم بالجمال جميل ، والكلمة الخبيثة لا تصدر إلا من خبيث ، وقد تستصغر كلمة ولكنها عند الله عظيمة ، والكلمة الطيبة لها تأثيرها الفعال والمباشر في النفس البشرية؛ لأنها كلمة صادقة قوية تغرس حبا وانطباعا حسنا في خلجات النفوس.

في هذه الآيات تشبيهان مركبان تمثيليان، ففي التشبيه الأول، يصور القرآن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة "وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ قِيلَ: هِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

[1] . قطب , سيد: في ظلال القرآن . ج6 ، ص 3491

[2] . إبراهيم : 24_26

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ, وَالطَّيِّبَةُ: النَّافِعَةُ. اسْتُعِيرَ الطَّيِّبُ لِلنَّفْعِ لِحُسْنِ وَقْعِهِ فِي النُّفُوسِ كَوَقْعِ الرَّوَائِحِ الذَّكِيَّةِ."([1])

يبدأ تشكل صورة المشبه به بنعت مفرد(طيبة) (كشجرة طيبة) ، ثم يتحول نعت المشبه به إلى جملة اسمية (أصلها ثابت) جاءت معززة بجملة معطوفة (وَفَرْعُها فِي السَّماءِ) ، وأفادت الجملتان صفتي الثبات والعلو للشجرة . ويأتي النعت الثالث (تُؤْتِي أُكُلَهَا) ليضاعف القيمة التعبيرية للشجرة المرتبطة دلاليا بالكلمة الطيبة لترغيب الإنسان بمعاني الكلمة الطيبة.

يبين سياق المشبه به أهمية الشجرة ومواصفاتها، فأصلها ثابت، وفرعها في السماء، و يؤكد الثبات والعلو قيمة الكلمة الطيبة المقصودة وأهميتها . وذكر تعالى في هذا التشبيه شجرة موصوفة بأربع صفات، ثم شبه الكلمة الطيبة بها، الصفة الأولى (طيبة) والثانية (أصلها ثابت) والثالثة (فرعها في السماء) والرابعة (دائمة الثمر). ووجه الشبه في تمثيل الإيمان بالشجرة أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال، كذلك الإيمان، لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان، فوجود الصفات الثلاث في جانب المشبه به حسية بينما هي في جانب المشبه معنوية. ([2])

تتضاعف القيمة الدلالية للصورة التشبيهية ، وتزداد قدرة التشبيه المركب على التأثير والإثارة بوساطة الخاصية الحسية لطرفي التشبيه إذ إن " صورة هذا المثل منتزعة من الواقع المشاهد للناس، مع إضافة شيء من الخيال بالنسبة إليهم، وهي بالنسبة إلى ما خلق الله

---

[1] . ابن عاشور, محمد الطاهر: التحرير والتنوير .ج13, ص 224

[2] .ينظر: درويش ,محي الدين : إعراب القرآن وبيانه . ج5 , ص188

منتزعة من الواقع، فأشجار الجنة كذلك."([1]) فامتزاج الواقع بالخيال يضفي على التشبيه لمسة خاصة, فالشجرة في أذهان الناس معروفة ولكن الشجر يموت، ولكن شجر الجنة له مواصفات خاصة تحمل معنى البقاء والديمومة، فالمتلقي مطالب بالتفكير والتأمل والتخيل ليتصور جماليات الشجرة الثابتة.

وتتضمن الآيات السابقة تشبيها مركبا آخر في قوله تعالى : (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) وتبدأ صورة المشبه به – كما بدأت صورة المشبه به في الآية السابقة – بنعت مفرد (خبيثة) ، ثم يتحول النعت المفرد إلى نعت مركب من جملة فعلية (اجتثت من فوق الأرض).

والكلمة الخبيثة ,هي كلمة الشرك وما يتبعها من كلام خبيث , والكلمة الخبيثة ضارة غير نافعة ,تضر المتلقي وتضر الناطق بها , فهي كالشجرة الخبيثة ,أصلها غير ثابت , ومذاقها مر , وغير مستقرة فهي شجرة لا خير فيها. و" تصوير الشجرة الخبيثة جاء موجزا سريعا، اكتفى باجتثاثها من فوق الأرض، وترك بقية التفصيلات للخيال كي يستحضر عناصر التصوير ويكملها، فإذا كانت الشجرة الخبيثة قد اجتثت لخبثها وقلة فائدتها فلم يبق هناك داع لذكر فروعها وأغصانها وثمارها بعد استئصال جذورها."([2])

المبحث الثاني :نعت أعمال المؤمنين

[1] . الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: أمثال القرآن. ص78

[2] . الراغب ,عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص 174

قال تعالى: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلةٍ مائة حبةٍ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم"([1])

يتماهى المشبه به والنعت في تركيب متصل لا يمكن الفصل بينهما ؛لأن المشبه به يتألف من عناصر متناغمة ومتكاملة؛ فلا يستقيم القول إن كلمة (حبة) هي المشبه به فقط ، لأن كلمة (حبة) تحتاج إلى النعت التركيبي كي تكتمل صورة المشبه به. وهنا يكمن الفرق بين نعت المشبه به في التشبيه المفرد ، ونعت المشبه به في التشبيه التمثيلي المركب ، ففي التشبيه المفرد يكون الفصل بين المشبه به والنعت مسوغا وفق العلاقات النحوية التركيبية ، أما الفصل بين النعت والمشبه به في التشبيه التمثيلي فأمر محال بسبب العلاقة العضوية التي تحكم دلالة المشبه به والنعت . وتؤكد الباحثة أن الموقع الإعرابي للنعت هو المسوغ في تحليل صورة المشبه به في التشبيه التمثيلي .

وعطفا على ما تقدم فإن العلاقة العضوية التكاملية بين المشبه به والنعت تتسم بالتنامي والامتداد التدريجي, فيتشكل أفق تخيلي في صورة المشبه به يمكن تسميته بالأفق التخيلي التصاعدي ، إذ تبدأ صورة المشبه به بالتشكل من النعت في الجملة الفعلية (أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ) التي جاءت في محل جر نعت لكلمة (حبة) ، ويجسد هذا النعت في صورة المشبه به تحولا دلاليا لافتا في الدلالة على الكثرة ، إذ إن حبة القمح الواحدة تتحول بوساطة النعت إلى سبع سنابل . ويشرع خيال المتلقي بالانتقال من المستوى الدلالي المألوف في الآية

---

[1] . البقرة: 261

إلى مستوى دلالي بصري مستمد من خارج السياق اللغوي للآية أو النعت في الجملة الفعلية ، إذ يستدعي المتلقي صورة حبة القمح التي تحولت إلى سبع سنابل ، وفي هذا التحول اللافت تأثير وإثارة تسهم في المقاربة بين الثواب الكبير للإنفاق القليل الذي يشتمل عليه المشبه, والكثرة المثيرة في تحول حبة القمح إلى سبع سنابل . وقد تثير جملة النعت التي تشكل العنصر الأول من صورة المشبه به تساؤلا واستغرابا من المتلقي ؛ هل يمكن أن تنبت حبة القمح الواحدة سبع سنابل ؟ ويجيب الزمخشري نافيا التعجب ومقررا حقيقته أو مجازه بقوله: ((فإن قلت: كيف صحّ هذا التمثيل والممثل به غير موجود؟ قلت: بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما، وربما فرخت ساق البرة في الأراضى القوية المقلة فيبلغ حبها هذا المبلغ، ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير))([1])

ويبدأ أفق التخيل لصورة المشبه به بالتصاعد بوساطة الجملة الاسمية (فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ) التي جاءت نعتا لكلمة (سنابل) . ويُسهم النعت الثاني في مضاعفة يقظة المتلقي لمكونات صورة المشبه به الذي يبدو في ظاهره تحولا عدديا متزايدا ، و يبدو في جوهره تحولا دلاليا يعزز أهمية الإنفاق وثوابه في صورة المشبه ، أما التحول العددي الظاهري فهو تحول حبة القمح الواحدة إلى سبع سنابل ، وتحول السنبلة الواحدة إلى مئة حبه . وأما التحول الدلالي فهو تحول ذهني وجداني يشعر به المتلقي في المقاربة بين زيادة ثواب الإنفاق والزيادة في عدد حبات القمح التي تحولت من حبة واحدة إلى سبعمئة حبة .

---

[1]. الزمخشري : الكشاف . ج1 ، ص310

وتسهم الجمل الاستئنافية والموصولة (يشاء) والمعطوفة (والله واسع عليم) في قوله تعالى : (وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ) في تعزيز دلالة جملتي النعت (الفعلية والاسمية) ، فليس المراد من النعت في الجملتين تحديد عدد نهائي لحبات القمح ، وإنما تمثيل حسي للثواب العظيم الذي يناله المنفقون في سبيل الله .

وتؤكد الدلالة المعجمية للعدد سبعة أن المراد من النعت الذي تضمن عدد السنابل السبع هو التكثير والمضاعفة ، تقول العرب : سَبَّعَ الله لك ضَعَّفَ لك ما صنعت سبعة أَضعاف ومنه قول الأَعرابي لرجل أَعطاه درهماً سَبَّعَ الله لك الأَجر أَراد التضعيف وفي نوادر الأَعراب سَبَّعَ الله لفلان تَسْبِيعاً وتَبَّع له تَتْبيعاً أَي تابع له الشيء بعد الشيء وهو دعوة تكون في الخير والشر والعرب تضع التسبيع موضع التضعيف وإن جاوز السبع.([1])

وجاءت الجملة الاستئنافية تأكيدا على أن الله جل وعلا يضاعف أجر المنفقين ، وأن الأجر ليس مقصورا على عدد حبات القمح السبعمئة ، فالجملة الاستئنافية التي لا تفيد نعتا وفق موقعها الإعرابي إلا أنها حولت النعت في الجملتين (الفعلية والاسمية) من دلالة عددية إلى دلالة ذهنية تمثل الثواب العظيم الذي لا يحيط به تخيل بشر ، ولا يحده عدد حبات القمح . ويؤكد ابن عاشور ما تقدم في "أَنَّ الْمُضَاعَفَةَ دَرَجَاتٌ كَثِيرَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الله تَعَالَى لأنّها تَتَرَتَّبُ عَلَى أَحْوَالِ الْمُتَصَدِّقِ وَأَحْوَالِ الْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ وَأَوْقَاتِ ذَلِكَ وَأَمَاكِنِهِ. وَلِلْإِخْلَاصِ وَقَصْدِ

[1]. لسان العرب : مادة سبع

الِامْتِثَالِ وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ وَالْإِيثَارِ عَلَى النَّفْسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحُفُّ بِالصَّدَقَةِ وَالْإِنْفَاقِ، تَأْثِيرٌ فِي تَضْعِيفِ الْأَجْرِ"([1])

وتسهم المقاربة بين عناصر صورة المشبه وعناصر صورة المشبه به الناجمة عن النعت في الجملتين (الفعلية والاسمية) في الكشف عن جماليات التشبيه التمثيلي المركب ، فالمشبه صورة من ينفق مالاً قليلاً في سبيل الله، والمشبه به حال من بذر حبة وهذه الحبة أنبتت سبع سنابل، فنرى المقابل الحسن لمن ينفق القليل في سبيل الله ثم يكون هناك كثير من الأجر في المقابل، فلقد شبه الله تعالى حال المنفق في سبيل الله ولو كان إنفاقه قليلاً بحال الذي يبذر بذرة صغيرة وتنبت هذه البذرة سبع سنابل وتكون في كل سنبلة مئة حبة، والمقصود من ذلك أن الذي ينفق شيئاً في سبيل الله ولو كان قليلاً يحصد كثيرا في المقابل عند الله تعالى من الأجر والثواب .

وترى الباحثة أن دلالات النعت في صورة المشبه به لا تنفصل عن دلالات صورة المشبه، لأن جملتي النعت توحي بصفات المنفقين في المشبه "فمثل المتصدق كمثل الزارع إذا كان حاذقاً في عمله وكان البذر جيداً وكانت الأرض عامرة يكون الزرع أكثر، فكذلك المتصدق إذا كان صالحاً والمال طيباً ووضع في موضعه يكون الثواب أكثر, كما روي في الحديث عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال: "متصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل"، وإنما ذكر النبي عليه السلام التربية في الصدقة, وإن كان غيرها من العبادات يزيد أيضاً

[1]. ابن عاشور : تحرير التنوير . ج 3 ، ص 43

بقبوله إشارة إلى أن الصدقة فريضة كانت أو نافلة أحوج إلى تربية الله لثبوت النقيصة فيها ,بسبب حب الأموال وفي الحديث "السخاوة شجرة أصلها في الجنة وأغصانها متدليات في دار الدنيا, فمن تعلق بغصن منها يسوقه إلى الجنة, والبخل شجرة أصلها في النار وأغصانها متدليات في دار الدنيا, فمن تعلق بغصن منها يسوقه إلى النار"([1])، فالمتصدق والمنفق في سبيل الله بحاجة إلى جهاد نفس كبير؛ لأن النفس تحب الطمع والجشع، ولأجل ذلك فالنفس بحاجة إلى تربية لحب التصدق والنفقة، كما يربي الفلاح أو الزارع حباته التي يزرعها.

يفضي الفصل بين عناصر صورة المشبه ، وعناصر صورة المشبه به التي تتشكل من جملتي النعت إلى غياب التأثير الجمالي للتشبيه التمثيلي ، ولكن الفصل بينهما يفيد الغاية التعليمية "فلوحة التمثيل هنا تشتمل على حبّ وزرع ونبات خصيب وسنابل سبع لكل حبة ومئة حبةٍ في كل سنبلة، وإذا حلّلنا العناصر في هذا المثل أمكننا أن نرجعه إلى أمثال عدة بسيطة، فالبذل يشبه عملية الزرع، وتنمية الله له تشبه النبت الجيّد، ومضاعفة الأجر تشبه تكاثر السنابل من الحبة الواحدة، وتكاثر الحبّ في كل سنبلة"([2])

يبدو التجاذب الدلالي بين الآية السابقة والآية التالية لها بعيدا في قوله تعالى :"وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبلٍ منهنّ جزءاً ثم ادعهنّ يأتينك سعياً واعلم أنّ الله عزيز حكيم "([3]) فالآية الأولى تشبه مضاعفة ثواب المنفقين في سبيل الله بحبة

---

[1] . أبو الفداء، إسماعيل حقي: روح البيان. دار الفكر، بيروت، ج1، ص418

[2] . الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع. ص20

[3] . البقرة: 260

القمح التي تتحول إلى سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، والآية التالية تصور قدرة رب العلمين في إحياء الموتى ، فما العلاقة بين الصورتين ؟ يتنبه الآلوسي إلى سر العلاقة التي تبدو في المستوى الدلالي السطحي بعيدة وغير مسوغة ، وتبدو في المستوى الدلالي المضمر علاقة تكاملية في قوله : ((وفي ذكره الحبة في التمثيل هنا إشارة أيضا إلى البعث وعظيم القدرة إذ من كان قادرا على أن يخرج من حبة واحدة في الأرض سبعمائة حبة فهو قادر على أن يخرج الموتى من قبورهم بجامع اشتركا فيه من التغذية والنمو الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ استئناف جيء به لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله))([1])

ولا يخلو السياق الأكبر من تجاذب دلالي بين الآية التي تشبه مضاعفة ثواب الإنفاق بتحول حبة القمح إلى سبعمئة حبه إذ إن قوله تعالى : "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرةً والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون"([2]) وأشار بعض المفسرين أن هذه الآية تتضمن العدد سبعمئة ، فذهب الزمخشري إلى أن القرض الحسن يعني "النفقة في سبيل الله أَضْعافاً كَثِيرَةً قيل: الواحد بسبعمائة"([3])

وتُفضي صورة المشبه به المؤسسة على النعت في الجملتين إلى إثارة الطمع والرغبة لدى الإنسان، ففي تمثيل بذل المال في سبيل الله ببذر الحب الذي ينبت سبع سنابل وفي كل سنبلة مئة حبة، إثارة قوية لمطامع الإنسان وحضه على العطاء والإنفاق في سبيل الله، فالغرض من التمثيل في هذه الآية " بيان حقيقة مضاعفة ثواب المنفقين في سبيل الله إلى

---

[1] . الآلوسي : روح المعاني . ج2 ، ص 33

[2] . البقرة: 245

[3] . الزمخشري : الكشاف . ج1 ، ص 291

أضعاف كثيرة وإثارة محور الطمع بفضل الله في نفس المخاطبين ليكون هذا الطمع محرّضاً ذاتياً في الأنفس على بذل الأموال في سبيل الله"([1])، ففي ذلك حضّ على البذل في سبيل الله وأيضاً إثارة للخوف من الخسارة للتحريض على البعد عن إبطال أثر الصدقة بالمن والأذى .

ويتضمن نعت المشبه به في التشبيه التمثيلي ملمح القصة القرآنية التي تستدعي استرسالا في الخيال ؛ فالبذرة توضع في الأرض ثم يمضي عليها وقت ثم تنبت سبع سنابل، ثم نبحث في كل سنبلة منها فيكون فيها مائة حبة ,وإذا بنا نأخذ حبة من هذه المائة التي تحتويها سنبلة من هذه السنابل السبعة لنضعها في الأرض من جديد, ولتنبت هذه الحبة سبع سنابل أخرى في كل سنبلة مائة حبة أخرى, وهكذا مما لا نهاية له وإن كانت له بداية، وهذا التخيل في هذا التمثيل بهذا التحليل وبذلك التطويل يعيش فيه التجار الماديون وأهل المهارات ممن يوازنون بين الأرباح والخسارات, وهو إغراء يعرفه علم النفس التجاري كما يدركه علم النفس الاقتصادي ([2])

ثانياً: قوله تعالى: " ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّةٍ بربوةٍ أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير([3])"

---

[1] . الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع. ص87

[2] . ينظر : لقمة، محمد محمد: الجوانب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية. رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1968، ص520

[3] . البقرة: 265

تشكل كلمة (جنة) نواة صورة المشبه به . ولا يستقيم المعنى المراد من التشبيه بالاكتفاء بلفظ الجنة ، إذ تحتاج صورة المشبه به إلى عناصر فنية لتناظر عناصر المشبه لكي يتحقق التكامل الدلالي والفني بين صورتي المشبه والمشبه به ، لذا تبدأ نواة المشبه به (الجنة) بالانقسام والتفرع ابتداء من شبه الجملة (جار ومجرور) (بربوة) التي جاء موقعها الإعرابي في محل جر متعلق بمحذوف (كائنة) نعت للجنة .وأضاف النعت الأول (شبه الجملة) بعدا دلاليا وجماليا لصورة الجنة ، فأشجار الجنة في ربوة وليست في جبل عال ؛" لِأَنَّ أَشْجَارَ الرُّبَى تَكُونُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا وَأَزْكَى ثَمَرًا فَكَانَ لِهَذَا الْقَيْدِ فَائِدَتَانِ إِحْدَاهُمَا قُوَّةُ وَجْهِ الشَّبَهِ ... وَالثَّانِيَةُ تَحْسِينُ الْمُشَبَّهِ بِهِ الرَّاجِعُ إِلَى تَحْسِينِ الْمُشَبَّهِ فِي تَخَيُّلِ السَّامِعِ".([1]) وذلك " للطافة هوائها وعدم كثافته بركوده" .([2]) ويحدد النعت الاول الفضاء المكاني لصورة المشبه به ، فالجنة تقع في ربوة .

ويستمر المشبه به بالتنامي والتكامل بوساطة الجملة الفعلية (أصابها وابل) التي جاءت في محل جر نعت للجنة ([3]) ، إذ إن الجنة أصابها مطر شديد ، وتنسجم كثرة المطر وغزارته في جملة النعت الثاني مع كثرة ثواب الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله . ويضيف النعت الثاني (الجملة الفعلية) مشهدا بصريا للمشبه به ، إذ يمنح المتلقي أفقا تخيليا لنزول المطر الغزير على أشجار الجنة وما يرافق نزول المطر من حركة الأشجار وتمايلها وغسلها بالماء .

---

[1] . ابن عاشور : تحرير والتنوير.ج3,ص52

[2] . الآلوسي:روح المعاني.ج2, ص36

[3] . يرى بعضهم أن هذه الجملة حال.

ومن اليسير على المتلقي أن يقارب بين المشهد البصري للنعت الثاني ومشهد نزول المطر على الأشجار في البيئة الجغرافية التي يعيش فيها . "إن أول ما يلفت النظر في صور التشبيه القرآنية هو انتزاع أجزائها من عناصر الطبيعة، ومن ثم جاء استمرار حيويتها الدائمة استمرار الطبيعة نفسها، كلما وقعت أعينهم على الأشياء المحيطة بهم، فنحن لا نكاد نجد في تشبيهات القرآن تشبيهاً واحداً يدرك جماله شخص دون آخر أو يتأثر به إنسان دون إنسان وهذا ما نكاد نفقده في تلك التشبيهات المصنوعة والقائمة على منطق العقل وحده إذ لا يفهم سر الحسن فيها إلا من عاش حياة صاحبها"([1])، ولهذا كانت الطبيعة هي ميدان التشبيهات القرآنية التي أخذ من عناصرها المختلفة "النبات والحيوان والجماد" تمثيلاته المختلفة حتى تقترب الصورة من عقل الإنسان.

وتتصل الجملة المعطوفة (فآتت أكلها ضعفين) بدلالة النعت السابق دلاليا وفنيا ، فالمطر الغزير أدى إلى نضوج ثمار الشجر في الجنة . ويتناسب معنى الحال (ضعفين) مع غزارة المطر في جملة النعت ، وكثرة ثواب المنفقين في صورة المشبه . ومن البدهي أن النفس الإنسانية أكثر ميلا للأشجار المثمرة من الأشجار غير المثمرة ، وتأسيسا على هذه الدلالة للأشجار المثمرة فإن الجملة المعطوفة أضافت بعدا نفسيا لجملتي النعت (الجار والمجرور والجملة الفعلية) ، لأنها تثير شهوة الأكل في سياق تخيل صورة المشبه به .

وتشكل الجملة المعطوفة الثانية (فإن لم يصبها وابل فطل) ثنائية دلالية تضاعف جماليات نعت المشبه به ، لأن الطل المطر الخفيف أو الندى ، والوابل المطر الغزير ،

---

[1] . شرف، حفني محمد: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، الكتاب الرابع، 1970، ص323

فالمتلقي مخير بين مشهدين ؛ مشهد المطر الغزير ، ومشهد المطر الخفيف ، ويرتبط المشهدان مع الدلالة المضمرة في صورة المشبه ، إذ إن إنفاق المال الكثير يناظر المطر الغزير ، وإنفاق المال القليل يناظر المطر الخفيف ، وفي كليهما ثواب وأجر . ويوحي هذا السياق الدلالي الثنائي أن الإنفاق ابتغاء مرضات الله يرتبط بالقدرة والاستطاعة .

وترمي دلالة تراكيب نعت المشبه به في الآية السابقة إلى ترغيب الإنسان بالإنفاق في سبيل الله ، فصورة الجنة على ربوة وقد ارتوت بالمطر ونضج ثمرها للآكلين تمثل ترغيبا للنفس الإنسانية لتنفق في سبيل الله إذ إن "بذل المال الذي هو شقيق الروح، وبذله أشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان لأن النفس إذا رضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في إتباعه لشهواتها، وبالعكس فكان إنفاق المال تثبيتاً لها على الإيمان واليقين، ويجوز أن يراد: تصديقاً للإسلام، وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه، ... وتثبيتاً من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه"([1])

وتفضي دلالة نعت المشبه به إلى كبح النفس عن التشكك والتردد ,أي أن المنفقين المؤمنين يمنعون أنفسهم من التردد في الإنفاق في وجوه البر كأنه يروض نفسه على هذه العادة الجميلة, ولا يترك في نفسه مجالاً للشح فإن "إراضة النفس على فعل ما يشق عليها

[1] . الزمخشري، أبو القاسم محمود: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج1، ص313

لها أثر في رسوخ الأعمال حتى تعاد الفضائل وتصير لها ديدناً، وإنفاق المال من أعظم ما ترسخ به الطاعة في النفس لأن المال ليس أمراً هيناً على النفس."([1])

ومن الخصائص التي تميز القرآن الكريم وتشبيهاته هي انتقاء مفردات القرآن، فلقد اختار تعالى لفظة "الجنة" وهي تدل على كل شيء جميل ولم يختر بدلاً منها لفظة بستان، وكذلك اختار لفظة "ربوة" وهي المكان المرتفع ولم يقل جبلا فتشبيهات القرآن الكريم " تمتاز بعنصر هام من العناصر التي تجعل الكلام موحيا مشعاً لا يكاد ينقر حبات القلوب حتى يؤثر فيها بطريقة فنية ونفسية عجيبة، ذلك العنصر هو انتقاء ألفاظ التشبيهات واختيارها اختياراً مناسباً للمعنى معطياً كل ما يتطلبه المقام"([2])

وتأسيسا على ما تقدم فإن نعت المشبه به "يضيف على المعنى شرفاً ووضوحاً ويزيده قوة وتأكيداً ويرفع من قدر الكلام فتهفو النفس له ويتحرك القلب إليه لأنه ينتقل بنا من المعنى الأصلي إلى صورة تشبهه، وكلما جلا التشبيه المعنى وزاده قوة ووضوحاً كان أملك للنفس وأبعد للتأثير".([3])

نلاحظ مما سبق أن هاتين الآيتين وصفتا حالة المؤمن المتصدق وصورته تصويراً دقيقاً، فمرةً شبهته بالحبة التي تنبت سبع سنابل وفي كل سنبلة مئة حبة ، وفي الثانية شبهت المنفق في سبيل الله بالجنة التي يصيبها الماء فتؤتي الأكل الدائم، وكما نلاحظ أن هاتين الصورتين منتزعتان من الواقع وليس من الخيال، فالصورة التمثيلية هنا منتزعة من

---

[1] . ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. ص51

[2] . شرف، حفني محمد: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق. ص339

[3] . حسين، عبد القادر: القرآن والصورة البيانية. عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985، ص110

الواقع في الأحداث الكونية، "ومنها أيضاً تمثيل الذي ينفق ماله ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من نفسه لقاعدة الإيمان في قلبه ولفضيلة خلق الجود عنده بزارعٍ حصيفٍ عاقلٍ يزرع حبه في جنة سمينة التربة بربوة لا تجرفها السيول فنزل عليها المطر الغزير فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها المطر الغزير كفاها الطلّ وهو المطر الخفيف لتعطي الثمر الطيب المضاعف"([1])

المبحث الثالث : نعت أعمال الكافرين

وصف القرآن الكريم أعمال الكافرين في آيات عدة انطلاقا من أن أعمالهم باطلة هينة على الله لا نفع يرجى منها، وفي سياقات أخرى لا ثواب للكافرين يوم القيامة، وهذا هو الخسران العظيم في الدنيا والآخرة، ومن الطبيعي أن العمل هو الانعكاس الدقيق والموضوعي

[1] . الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع. ص51

لما تخفيه النفس، وهو تبيان صادق لجوهر العقيدة وحقيقة الإيمان ولهذا عمدت الآيات إلى تعرية الكافرين وفضح معتقداتهم.

تتفق الآيات التي تعرض لصفات الكافرين على فكرة الخسران والضياع، فأعمالهم تارة رماد، وتارة سراب، وتارة ريح، إلى غير ذلك من الصفات المعبرة عن الخسران، واللافت للنظر أن التعبير القرآني يستخدم التمثيل والتصوير بغزارة عندما يصور أعمال الكافرين لتقريب الصورة للأذهان، ولتعميق حالتي النفور والكراهة لمثل هذه الأعمال حتى يتخيل المتلقي الدلالة واضحة، وبالتالي يقع تحت تأثير الجو النفسي المفضي إلى استيعاب الدرس وأخذ العبرة قبل فوات الأوان ليتمكن من الخلاص. يبدو أن الأصل في العمل هو حسن النية وابتغاء وجه الله، والإيمان شرط العمل الصالح، والعقيدة هي المحك، والقرآن يراوح في استخدام التصاوير الحسية والعقلية والنفسية لتأكيد حقيقة جوهرها أن أعمال الكافرين باطلة. ومن الآيات التي صورت أعمال الكافرين قوله تعالى :

"والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب"([1])

تشكل كلمة "سراب" نواة صورة المشبه به، ولا يستقيم المعنى بتشبيه أعمال الكافرين بالسراب فقط ، إذ لا بد للمشبه به من عناصر فنية تناظر عناصر المشبه، لكي يتحقق التكامل الفني والدلالي بين صورتي المشبه والمشبه به. إن القول بتشبيه أعمال الكافرين

[1] . النور: 39

بالسراب يعتريه نقص دلالي ؛لأن صورة المشبه به (كسراب) تقتضي عناصر فنية دلالية مستمدة من النسيج اللغوي لنعت المشبه به . ويمثل التركيب النحوي (بقيعة) أول نعت للمشبه به ، فشبه الجملة من الجار والمجرور المتعلقة بمحذوف(كائن) حددت مكان السراب في موضع منخفض. وقد يوحي معنى الانخفاض في شبه جملة النعت انخفاض قيمة أعمال الكافرين. فالقيعة هي الأرض الخالية القفر من البناء والشجر والنبات والعالم فجعل السراب أرض قفر لا شيء فيها والسراب لا حقيقة له، وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الإيمان والهدى([1])" وتوحي لفظة القيعة ببعض صفات أعمال الكافرين ، لأن القيعة الأَرض الحُرَّةُ الطينِ التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها . وإذا خالطها الرمل لم تكن قاعاً لأَنها تشرب الماء فلا تُمْسِكُه.([2])، فالطين لا يصلح للزراعة ، وكذلك لا ثمر ولا نماء في أعمال الكافرين ، والقيعة تشرب الماء ولا يتجمع فيها ، وكذلك أعمال الكافرين زائلة .

وتمثل الجملة الفعلية "يحسبه الظمآن ماءً" النعت الثاني للمشبه به ، والحسبان أو الظن يُضمر دلالة ترتبط بأعمال الكافرين الذين يظنون أو يتوهمون أن أعمالهم ذات قيمة ومنفعة ، فظنهم يناظر مّن يرى السراب ماء . ويكشف الفاعل(الظمآن) عن غياب البدائل اللغوية المناظرة في الدلالة ، نحو الرائي – مثلا– ، فالظمآن أكثر بلاغة من الرائي ؛"لأن الظمآن أشد حرصا عليه وأكثر تعلق قلب به" ([3]) والظمآن بعدما يرى السراب يتحرك باتجاهه، وعندما يصل إليه لا يجد ماءً فينظر إلى حيث كان، فيرى سراباً آخر، فيتجه نحوه كذلك، وهذه العملية

---

[1] . ابن قيم الجوزية : الأمثال في القرآن الكريم. تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص193

[2] . لسان العرب : مادة قوع

[3] . درويش ,محي الدين :إعراب القرآن وبيانه . ج6, ص 618

تستمر هكذا، مما يؤدي إلى ازدياد عطشه، هذا هو شأن الكفار يوم القيامة، فهم يبحثون عن أعمالهم الحسنة التي أدوها في الدنيا لعلها تنجيهم، لكنهم لا يحصلون على شيء فيرجعون خلو اليدين لأن أعمالهم كانت بمنزلة السراب الذي يبدو ماءً وما هو بماء([1])

وعطفا على ما تقدم فإن دلالة صورة المشبه به بلا نعت لا تستقيم ، لأن" النعت يأتي في مواضع يتغير المعنى فيها بحذفه، بل لا يؤدي الكلام المعنى المراد بحذف النعت، ولهذا عدّ النحاة النعت من تمام المنعوت، أي كالجزء منه([2])"، ويؤكد ما تقدم أن العلاقة التركيبية بين المشبه به والنعت لون من ألوان التماسك النصي.

وتتعزز دلالة الجملة الفعلية للنعت بجملة الشرط وجوابه (حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً)، إذ تجسد جملة الشرط خيبة الكافر حينما لا يجد ماء ، لأن معنى جملة الشرط "فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى حَيْثُ تَوَهَّمَ وُجُودَ الْمَاءِ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ فَتَحَقَّقَ أَنَّ مَا لَاحَ لَهُ سَرَابٌ." ([3])

تحقق التكامل الدلالي بين عناصر المشبه التي تمثل صفات أعمال الكافرين التي تُفهم من السياق العام للآيات ، وعناصر المشبه به المؤسسة على تراكيب نعت المشبه به ، وما اقترب بها من جمل مساندة ؛ فَأَعْمَالُ الْكَافِرِينَ شَبِيهَةٌ بِالسَّرَابِ فِي أَنَّ لَهَا صُورَةَ الْمَاءِ وَلَيْسَتْ بِمَاءٍ، وَالْكَافِرُ يُشْبِهُ الظَّمْآنَ فِي الِاحْتِيَاجِ إِلَى الِانْتِفَاعِ بِعَمَلِهِ. وَخَيْبَةُ الْكَافِرِ عِنْدَ الْحِسَابِ تُشْبِهُ خَيْبَةَ الظَّمْآنِ عِنْدَ مَجِيئِهِ السَّرَابَ . وَمُفَاجَأَةُ الْكَافِرِ بِالْأَخْذِ وَالْعَتْلِ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ ... تُشْبِهُ مُفَاجَأَةَ

---

[1] .ينظر : الشيرازي، ناصر مكارم: أمثال القرآن. مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، ط2، 1324هـ، ص337

[2] . خضر، علي: التركيب النعتي في العربية. مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد27، 2000، ص67

[3] . ابن عاشور,محمد الطاهر : التحرير والتنوير. ج 18, ص 253

مَنْ حَسِبَ أَنَّهُ يَبْلُغُ الْمَاءَ لِلشَّرَابِ فَبَلَغَ إِلَى حَيْثُ تَحَقَّقَ أَنَّهُ لَا مَاءَ فَوَجَدَ عِنْدَ الْمَوْضِعِ الَّذِي بَلَغَهُ مَنْ يَتَرَصَّدُ لَهُ لِأَخْذِهِ أَوْ أَسْرِهِ.([1])

قال تعالى : "أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُور" ([2])

تشكل كلمة "ظلمات" جوهر صورة المشبه به , ولا يتضح المعنى بتشبيه أعمال الكافرين بالظلمات إلا إذا اكتملت صورة المشبه به بالتركيب النحوي, فشبه الجملة من الجار والمجرور (في بحر لجي) هي أول جملة نعت للمشبه به, فاللجي منسوب إلى اللجة وهي الصوت , والتجت الأصوات أي ارتفعت واختلطت ,واللجلج المختلط الذي ليس بمستقيم , واللجي بعيد القعر والعميق كثير الماء ([3]).

وجملة النعت الثانية جملة فعلية (يغشاه موج) "وَالْمَوْجُ: اسْمُ جَمْعِ مَوْجَةٍ وَالْمَوْجَةُ: مِقْدَارٌ يَتَصَاعَدُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ أَوِ النَّهْرِ عَنْ سَطْحِ مَائِهِ بِسَبَبِ اضْطِرَابٍ فِي سَطْحِهِ بِهُبُوبِ رِيحٍ مِنْ جَانِبِهِ يَدْفَعُهُ إِلَى الشَّاطِئِ. وَأَصْلُهُ مَصْدَرُ: مَاجَ الْبَحْر، أَي اضْطِرَاب وَسُمِّي بِهِ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ." ([4]) وتمثل جملة الجار والمجرور (من فوقه موج) جملة النعت الثالثة للمشبه به , "وَمَعْنَى: مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ أَنَّ الْمَوْجَ لَا يَتَكَسَّرُ حَتَّى يَلْحَقَهُ مَوْجٌ آخَرُ مِنْ فَوْقِهِ وَذَلِكَ أَبْقَى لِظُلْمَتِهِ.

---

[1] . ينظر : ابن عاشور:التحرير والتنوير . ج18 ، ص254

[2] . النور : 40

[3] . لسان العرب : مادة لجي

[4] . ابن عاشور , محمد الطاهر : التحرير والتنوير . ج18, ص 256

وَالسَّحَابُ يَزِيدُ الظُّلْمَةَ إِظْلَامًا لِأَنَّهُ يَحْجِبُ ضَوْءَ النَّجْمِ وَالْهِلَالِ."([1]) وجملة النعت (بعضها فوق بعض) تتكون من ظلمات ثلاث وهي: ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب.

يركز التصوير في المثل الأول على السراب الخادع في الصحراء، والمثل الثاني يركّز على ظلمات البحر اللجي، تتلاطم أمواجه، وتغطيه السحب الكثيفة، ويغطّيه ظلام الليل، حتى تنعدم الرؤية البصرية في هذه الظلمات المركّبة بحيث لو أخرج يده لم يكد يراها من هذا الظلام الشديد. ويبرز التقابل في المثلين بين عناصر التصوير، لاستيفاء تفصيلات المعنى، فالسراب في المثل الأول يوحي بالخراب والأوهام، والكافر يجري وراء السراب أو الأوهام، والظلمات المتراكمة من البحر والسحاب وظلام الليل توحي بانعدام الرؤية البصرية، والكفر ظلمات، يحجب ما أنفقته اليد في طريق الخير، فلا يستفيد الكافر منها. ويتناسق التعقيب على المثل مع جوّ التصوير بالظلام "وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ" فيتضح من خلاله أن نور الله، هو الوحيد الذي ينير طريق الإنسان في ظلمات الحياة المتراكمة كما صوّرها المثل القرآني الأخير.([2])

قال تعالى:" مثل الذين كفروا بربّهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصفٍ لا يقدرون مما كسبوا على شيءٍ ذلك هو الضلال البعيد"([3])

---

[1] . المرجع نفسه:ج18 , ص 256

[2] . ينظر : الراغب ,عبد السلام أحمد: وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ص 170

[3] . إبراهيم: 18

لا يخلو لفظ المشبه به (رماد) من دلالات تنسجم مع صفات أعمال الكافرين في صورة المشبه ، ولكنها دلالات لا يُكتفى بها لتحقيق التكامل الفني بين عناصر صورتي المشبه والمشبه به . ومن دلالات لفظ المشبه به أن الرَّماد كثير الأَضياف لأَن الرماد يكثر بالطبخ.([1]) ويحيل هذا المعنى إلى صفة الكرم في أعمال الكافرين ، ولكنها صفة لا تنفعهم يوم القيامة . وتفيد البنية المعجمية لمادة رمد في بيان الصفات الحسية للكافرين يوم القيامة ، إذ إن الأَرْمَد الذي على لون الرَّماد وهو غُبرة فيها كُدرَة.([2]) فالدلالة اللونية للرماد توحي بسواد وكدرة وجوه الكافرين يوم القيامة . ومن معاني رمد الهلاك ، فرَمَدَ القوم رَمْداً هلكوا. ورمَّدَهم الله وأَرمَدَهم أَهلكهم. وعام الرَّمادة معروف سمي بذلك لأَن الناس والأَموال هلكوا فيه كثيراً. وقيل : هو لجدب تتابع فصّير الأَرض والشجر مثل لون الرماد.([3])

جاءت الجملة الفعلية (اشتدت به الريح) نعتا للمشبه به لتنفي احتمال تجمع الرماد الناجم عن الاحتراق ، ونفي تجمع الرماد يوحي بدلالة فناء أعمال الكافرين ، ونفي فائدتها يوم القيامة ، فشبّه الله تعالى أعمال الكافرين بربهم " في حبوطها وذهابها هباءً منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به([4])"، فأعمالهم رماد اشتدت به الريح فلا يظهر أثرها . إذ إن "الريح العاصف تطير الرماد وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى له أثر فكذلك كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لا يبقى لها أثر" ([5]). ومنحت جملة النعت "اشتدت به الريح" المشبه به أفقا تخيليا مفعما بالحركة الشديدة ،وكذلك النعت "عاصف" أضفى على صورة

---

[1] . لسان العرب : مادة رمد

[2] . لسان العرب : مادة رمد

[3] . لسان العرب : مادة رمد

[4] . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.ج3، ص371

[5] . درويش , محي الدين : إعراب القرآن وبيانه . ج5 ، ص 175

المشبه به حركة قوية تكاملت مع النعت السابق، لتؤدي الوظيفة البلاغية والجمالية التي أدتها الصورة التشبيهية في تطاير أعمال الكافرين كتطاير الرماد في الريح.وجاء النعت المفرد في قوله تعالى : (في يومٍ عاصفٍ) مؤكدا ومعززا لدلالة فناء الرماد في صورة المشبه به ، وفناء أعمال الكافرين في صورة المشبه .وتسهم الجملتان الاستئنافية وصلة الموصول في قوله تعالى : (لا يقدرون مما كسبوا على شيءٍ) في بيان مصير أعمال الكافرين ، وفي إيضاح صورة الرماد في جملة النعت في صورة المشبه به .

تحققت بلاغة التشبيه المركب من ناحيتين: "الأولى طريقة تأليف ألفاظه، والثانية ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان([1])"، وتجلت بلاغة تأليف الألفاظ في اقتران المشبه به بجملة النعت وما اقترن بها من كلام . وتجلت الصورة المبتكرة في إخراج ما لا يحس إلى ما يحس.

"فالتعبير القرآني لا يرمي إلى مجرد أداء المعنى الذهني إنما يريد الصورة كذلك، والصورة تقتضي هذا التنويع ليتم التناسق مع الأجزاء الأخرى في اللوحة، أو في المشهد المعروض، ودلالة هذا التنويع حاسمة في أن التصوير عنصر أساسي في أسلوب القرآن، وأن التعبير لا ينتهي إلى أداء المعنى الذهني مجرداً إنما ينبض بطبيعته بصورة حية للمعاني، تختلف هذه الاختلافات الدقيقة اللطيفة حسب اختلاف الأجزاء والألوان([2])".

تجسد صورة المشبه به بوساطة النعت معاني وأحوال ومشاعر تتفق مع سياق الآيات بما يتلاءم مع صورة جهنم، فهذا المشهد القوي الذي يتمثل في اشتداد الريح في يوم عاصف يتناسب مع عذاب الكفار عندما يلقون في جهنم، فهذه العناصر تتلاءم وتتناسق لتدل على

---

[1] . عباس، نبراس جلال: التشبيه في النص القرآني. ص260

[2] . قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن. ص119

السحق والمحق وعدم الانتفاع بل والعجز عن الاستدراك "لا يقدرون مما كسبوا على شيء"، فالمراد محق هذه الأعمال وتبديدها وبعثرتها.

قال تعالى: "مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صرّ أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون"([1])

تشتمل الجملة الاسمية (فيها صرّ) التي جاءت نعتا للمشبه به على ثراء دلالي ؛ ففي جملة النعت صورة صوتية للريح الشديدة التي دمرت الحرث (الزرع) ؛ لأن الصَّرَّة هي الضَّجَّة، قال عز وجل:" فَأَقْبَلَتِ امرأَتُه في صَرَّةٍ" ([2]). قال المفسرون: في ضَجَّة وصَيْحَة. و الصَّرَّة أَشدُّ الصياح تكون في الطائر والإنسان وغيرهما.([3]). ويُضمر النعت دلالة تنسجم مع الدلالة السياقية الكلية للآية وهي الهلاك ، فالصَّرَّة الشِّدة من الكْرب والحرْب.([4]). وتحيل جملة النعت إلى المال الذي ينفقه الكافرون في صورة المشبه، إذ إن للصُّرَّة شَرَجْ الدَّراهم والدنانير.

وتشتمل المادة اللغوية للنعت على معنى الزرع الذي جاء في النعت الثاني للمشبه به وهو الجملة الفعلية (أصابت حرث)، فأَصَرَّ الزرعُ إصراراً إذا خَرَج قبل أَن يخلُص سنبله فإِذا خَلُص سُنْبُلُه قيل قد أَسْبَل، و يكون الزرع صَرَراً حين يَلْتَوي الورَق، ويَيْبَس طرَف السُّنْبُل وإِن لم يخرُج فيه القَمْح . والصَّرَر السُّنْبُل بعدما يُقَصِّب .([5])

---

[1] . آل عمران: 117

[2] . الذاريات : 29

[3] . لسان العرب :مادة صرر

[4] . لسان العرب : مادة صرر

[5] . لسان العرب: مادة صرر

فجملة النعت(أصابت حرث) تمثل العذاب لقوم ظلموا أنفسهم، فتعدى ظلمهم لزرعهم الذي يجب أن يجتث من أصله وذلك؛ لأنه سينفق في محاربة الله ورسوله، فالله يؤكد في كتابه أنه لم يظلمهم ولكن هم من ظلموا أنفسهم، فمن الدقة في التعبير ما يلاحظ من "القيد في المثل الذي يدل على أن إهلاك الزرع بالريح الباردة إنما جاء لحرث قوم ظلموا أنفسهم، ولم يأت لحرث قوم أراد الله أن يمتحنهم بالمصيبة وهذا القيد يتمم التطابق في عناصر التماثل بين المثل والممثل له([1])" ووصفوا بجملة النعت "ظلموا"، أي ظلموا أنفسهم ولم يكن الله بظالمٍ لهم، "بالكفر والمعاصي فباءوا بغضب من الله تعالى، وإنما وصفوا بذلك لما قيل: إن الإهلاك عن سخط أشد وأفظع أو لأن المراد الإشارة إلى عدم الفائدة في الدنيا والآخرة...وقيل: المراد ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزراعة وفي غير وقتها "فأهلكته" عن آخره ولم تدع له عيناً ولا أثراً عقوبة لهم على معاصيهم، وقيل: تأديباً من الله تعالى لهم في وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه([2])"

ولا يخفى أن التواصل الدلالي بين جملتي النعت يعزز وحدة العناصر الفنية لصورة المشبه به . ويشير معنى جملة النعت الأولى (فيها صر) إلى ذنوب الكافرين في صورة المشبه ، لأن معنى يَصِرُّ إِصْراراً إذا لزمه ودَاوَمه وثبت عليه. وأَكثر ما يستعمل في الشرِّ والذنوب يعني من أَتبع الذنب الاستغفار فليس بِمُصِرٍّ عليه.([3])

---

[1] . الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: أمثال القرآن. ص123

[2] . الآلوسي، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج4، ص37

[3] . لسان العرب : مادة صرر. الصِرّ: "شدة البرد، ويقال ريح صرّ، وريح فيها صرّ: شديدة البرد حرث: "حرث الأرض حرثاً شقها بالمحراث ليزرعها

يقول المفسرون "الصر: الريح الباردة ، وقيل : إن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة، وقيل : إن "الصر صوت لهيب النار وقد كانت في تلك الريح([1])"وسواء كانت الريح شديدة البرودة، أم شديدة الحرارة، فهي في كلتا الحالتين مهلكة للزرع مدمرة له، وترجح الباحثة أن الصر هي الريح الباردة وهو نعت للريح لأنه جاء معها، فحمل على هذا المعنى.

يصور القرآن الكريم ما ينفقه الكافرون من حيث بطلانه وذهابه وعدم منفعته لهم . وفي ضوء هذا التشبيه التمثيلي، يشبه الإنفاق بزرع أصابته ريح شديدة البرودة فأهلكته ولم ينتفع أهله به، فالمشبه: إنفاق الكافرين الخالي من الثواب، والمشبه به الزرع الذي أهلكته الريح الباردة، ووجه الشبه: هو خيبة الأمل والحسرة على ما بذلوه من جهد ومشقة ولم ينتفعوا بها، وهذه العناصر تتكامل لتكون لنا الصورة التي أراد القرآن أن يوصلها لنا، إذ إن "القرآن يرسم صوراً ويعرض مشاهد، فينبغي أن نقول: إن هذه المشاهد وتلك الصور، يتوافر لها أدق مظاهر التناسق الفني في ماء الصورة، وجو المشهد، وتقسيم الأجزاء، وتوزيعها في الرقعة المعروضة([2])"

ومن بلاغة التشبيه أنه يُعنى بتصوير حال المشبه عن طريق تمثيله بصورة المشبه به، وهنا في هذه الآية يبيّن لنا الله تعالى حال أعمال أولئك الذين ينفقون أموالهم في محاربة الله تعالى, ويصورها لنا بحال الزرع الذي تصيبه الريح الباردة بل الشديدة البرودة فتهلكه، كما أن ألفاظ التشبيه في القرآن الكريم ألفاظ دقيقة موحية مصورة، فمثلاً لفظة الريح جاءت لتدل على العقاب والعذاب، ولفظة "صرّ" أيضاً تدل على العذاب وخصوصاً أنها جاءت مع الريح

[1] . ينظر : الآلوسي، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج4، ص37

[2] . قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن. ص114

فصارت ريحاً شديدة البرودة، ولفظة أهلكته شديدة القوة والجزالة في بيان الهلاك، "ولا يفوتنا جَرس كلمة "صرّ" من تصوير لمدلولها وكأنما هو قذائف صغيرة تنطلق على الحرث فتهلكه، وذلك لون من التناسق([1])"

يتضح مما تقدم جماليات التكامل الدلالي بين تراكيب النعت و المشبه به ، فلو ذكرت كلمة الريح "المشبه به" وحدها ولم تذكر معها "صرّ"، لما أفادت شدة العذاب الواقع ولم تدل على الرياح الشديدة البرودة المهلكة الحارقة، ولو لم تذكر الجملة الفعلية "أصابت حرث" وهي نعت للريح، لما تحقق تكامل دلالي بينها وبين المشبه به، وجملة (ظلموا) بيّنت أن القوم كانوا ظالمين، فظلموا أنفسهم قبل أن يظلموا الناس، فاستحقوا العذاب والعقاب الواقع عليهم، وبذلك نرى تكامل النعت مع المشبه به في تكوين الصورة التشبيهية .

قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوانٍ عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين"([2])

حددت الجملة الاسمية (عليه تراب) التي جاءت نعتا للمشبه به كثافة التراب المتراكم على الحجر (صفوان)، بدليل أن التراب الكثير يحتاج إلى مطر شديد لكي يغسل الحجر ، لذا جاءت الجملة المعطوفة (فأصابه وابل) على جملة النعت تأكيدا على هذا المعنى . وتدل البنية

---

[1] . قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن. ص41

[2] . البقرة: 264

الدلالية العميقة للمشبه به ولجملة النعت على بطلان الصدقات المتبوعة بالمن والأذى ، لأنهما يُضمران دلالة الخسران والانقطاع والفقر ، إذ تدل البنية المعجمية لمادة (صفا) ، أي المشبه به(صفوان) على الخسران ، فأَصْفى الشاعرُ انقطَع شِعْرُه ، ولم يقلْ شِعْراً . وأَصْفي الرجلُ من المالِ والأَدَبِ خلا. وأَصْفى الأَمِيرُ دارَ فلانٍ واسْتَصْفى مالَه إذا أَخذه.([1]) ويقال للرجل إذا قلَّ مالُه قد تَرِبَ أَي افْتَقَرَ حتى لَصِقَ بالتُّرابِ وفي التنزيل العزيز "أَو مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ" ([2]).

وتوحي الدلالة المعجمية للنعت بثنائية دلالية تنسجم مع دلالة صورة المشبه ، إذ إن أموال الصدقات لا قيمة لها إذا تبعها منّ وأذى ، فالصدقات أموال وفي الوقت نفسه لا قيمة لها ، وكأنها تراب على حجر يغسله ماء ، وكذلك يحمل النعت الدلالة ذاتها ، لأن مادة (ترب) تفيد الغنى والفقر معا ، إذ إن معنى تَرِبَ تَرَباً ومَتْرَبةً خَسِرَ وافْتَقَرَ، فلَزِقَ بالتُّراب وأَتْرَبَ استَغْنَى وكَثُر مالُه. ويقال: تَرِبَتْ يَداهُ ، أَي لا أَصابَ خيراً . وقيل أَتْرَبَ قَلَّ مالُه. ويقال: أَتْرَبَ الرجلُ فهو مُتْرِبٌ إِذا كثر مالهُ. فإِذا أَرادوا الفَقْرَ قالوا: تَرِبَ يَتْرَبُ . ورجل تَرِبٌ فقيرٌ ورجل تَرِبٌ لازِقٌ بالتُّراب من الحاجة ليس بينه وبين الأَرض شيءٌ.([3])

تدرّج القرآن الكريم في بيان الصدقات، وبيّن كذلك قبح المن والأذى في ثلاث طرق بيانية، تدرجت بالنفس الإنسانية، فبدأ القرآن بالثناء على تارك المنّ والأذى بقوله تعالى "لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذىً"، ثم بيّن أن الصدقة التي يتبعها المنّ والأذى فيها ضرر، لذلك

---

[1] . لسان العرب : مادة صفا

[2] . البلد : 16

[3] . لسان العرب : مادة ترب

فضلّ الله عليها القول المعروف والمغفرة "قول معروف ومغفرة"([1])، لأنهما لا يلحقهما أي ضرر، ثم جاء التصريح بالنهي عنها لأنها تبطل العمل وتذهب فائدته وثوابه "يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم" يريد الله تعالى أن يبيّن للناس أن "الصدقة التي تبذل رياءً، والتي يتبعها المنّ والأذى، لا تثمر شيئاً ولا تبقى، فينقل إليهم هذا المعنى المجرد في صورة حسية([2])"،يوجّهها سبحانه وتعالى للمؤمنين بعد أن بيّن لهم فيما مضى أهمية الصدقة وجاء هنا ليبالغ في النهي عن المنّ والأذى الذي يتبع الإنفاق.

وربط ابن عباس رضي الله تعالى عنهما المن والأذى برب العالمين والفقراء المستحقين للصدقات ، وذلك بالمن على الله تعالى، وبالأذى للفقير([3])"، وهذا مخالف تمام المخالفة للصدقة التي تعني "ما يعطى على وجه القربى لله ([4])"، وذهب بعضهم أن المراد بالأذى هو "الأذى الصريح من المنعم للمنعم عليه كالتطاول عليه بأنه أعطاه أو أن يتكبر عليه لأجل العطاء، بل تعييره بالفقر، وهو غير الأذى الذي يحصل عند المن([5])"، وأورد الغزالي اختلاف المفسرين في حقيقة المن والأذى فقال: "المن أن يذكرها، والأذى أن يظهرها...وقيل المن أن يستخدمه بالعطاء، والأذى أن يعيره بالفقر، وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل إعطائه والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة، وعندي أن المن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح، ومنبع الأذى أمران: كراهية المعطي إعطاء ماله وشدة ذلك على نفسه، ورؤيته أنه خير من الفقير، وكلاهما منشؤه

---

[1] . البقرة : 263

[2] . قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص39

[3] . الآلوسي، شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . ج3، ص35

[4] . لسان العرب : مادة حرث, صدق

[5] . ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. ج3، ص44

الجهل([1])" . ويتبين من تعدد المعاني للمن والأذى أن اللفظة الواحدة في القرآن حار في معناها المفسرون ، فكل لفظة لها خصوصية ، ولكن إذا اجتمعت مع الكلمات الأخرى أصبح لها معنىً آخر.

ويُفضي النعت إلى تأمل صورة المشبه به ، فالحجر(صفوان) غطته طبقة من التراب فظنت فيه الخصوبة، فإذا نزل عليه الوابل وهو المطر، ذهب عنه التراب وتركه صلباً أملس، بعد أن كان يُظن فيه من الخصوبة والنماء ما يؤهله للزراعة، فهذا هو التشبيه القائم في هذه الآية، والمشبه هو الذين ينفقون مالهم رياء الناس، وكذلك من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وهو الكافر، والمشبه به الحجر "الصفوان" الذي عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً، أما وجه الشبه فهو "عدم الانتفاع مما أعطوا بأزيد من شفاء ما في صدورهم من حب التطاول على الضعفاء ([2])".

واستئناسا بوظيفة نعت المشبه به في الآية السابقة أفاد التشبيه "الإيجاز، والتوضيح والتوكيد وذلك بإخراجه الخفي إلى الجلي، والمبهم إلى الواضح، والبعيد إلى القريب، والمعنوي إلى شيء تدركه الحواس فيتأكد في النفس، ويتقرر في الفؤاد، فلا تنمحي صورته من الأذهان([3])".

---

[1] . الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين. كتاب أسرار الزكاة، الكتاب 5، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005، ص256

[2] . ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. ج3، ص44

[3] . حسين، عبد القادر: القرآن والصورة البيانية. عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985، ص112

ويكشف نعت المشبه به عن ظاهرة الرياء والنفاق للذين ينفقون أموالهم في غير مرضاة الله ، فشبههم بالصفوان الذي عليه التراب فنزل عليه المطر فتركه حجراً قاسياً بل وشديد الصلابة أملس لا يوجد عليه شيء، وكذلك حال الكافرين أو الذين ينفقون مالهم رياء ونفاقا ، فتذهب أعمالهم هباءً لا فائدة منها ولا نتيجة لها.

وفي هذا التشبيه من "التداخل النظمي والترابط الفكري والتماسك النفسي ما تخشع له وتخضع، وما لا يدع لعاقل تضيع عليه إلا واستمسك بها وانتفع، لئلا يدركه نقص ولا حرمان بسبب أذى أو امتنان([1])".

قال تعالى: " أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ (16) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ".([2])

[1] . لقمة، محمد محمد: الجوانب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية. رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1968، ص522

[2] . البقرة : 16_19

في هذه الآيات تشبيهان مركبان تمثيليان، ففي التشبيه الأول، يصور القرآن المنافقين وحيرتهم واضطرابهم وقلق نفوسهم، فقد كانوا في ظلمة الكفر فآمنوا ظاهرا، فأوقدت لهم نار، فأضاءت ولكنهم سرعان ما عادوا إلى ظلمات التخبط والكفر، فالتناسب في الصورة واضح بين ظلمة الظاهر، وظلمة باطن النفوس، فأسند ذهاب النور إلى الله، ليفيد معنى الإزالة الكاملة للضياء، ثم جمع «الظلمات» ثم قال لا يُبْصِرُونَ وذلك لتأكيد معنى كثافة الظلمات الظاهرية لتناسب ظلمات نفوسهم القاتمة.([1])

تمثل شبه الجملة – الجار والمجرور المتعلق بمحذوف –(من السماء) النعت الأول للمشبه به الثاني(كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء) . وحددت النعت مصدر الصيب(المطر الشديد) من السماء ، والمألوف أن المطر ينزل من السحاب ، ولكن ارتباط نزول المطر الشديد من السماء وليس من السحاب أكثر تأثيرا وإثارة ، لأن المطر ورد في سياق عذاب الكافرين ، فالسماء تمثل الأمر الرباني بعقاب هؤلاء الكافرين ، ولا تدل السحاب على العقاب . وجاءت كلمة (السماء) في شبه جملة النعت معرفة ولم تأت نكرة "فنفى أن يتصوّب من سماء، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأنّ كل أفق من آفاقها سماء، كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا)([2]) والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء ([3]) ويفيد لفظ المشبه به (صيب) شدة الانصباب، كانصباب الهول فوق رءوسهم.([4])

---

[1] . الراغب , عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص65

[2] . فصلت : 12

[3] . ينظر: الزمخشري, أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج 1، ص 82

[4] . الراغب, عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص65

وتمثل الجملة الاسمية (فيه ظلمات) النعت الثاني للمشبه به . وتتجاوز دلالة الظلمات في النعت معنى الظلام المألوف ، فتوحي بصفات الضلال والتيه وعقاب المشركين ، إذ تقول العرب : يوم مُظْلِمٌ شديد الشَّرّ. وأَمْرٌ مُظْلِم لا يُدرَى من أَينَ يُؤْتَى له. والعرب تقول لليوم الذي تَلقَى فيه شِدَّةً يومٌ مُظلِمٌ حتى إنهم ليقولون: يومٌ ذو كَواكِبَ أَي اشتَدّت ظُلْمته حتى صار كالليل.([1]) ويعزز الاسمان المعطوفان (ورعد وبرق) دلالة جملة النعت ، ويوسعان من أفق الدلالة لصورتي المشبه والمشبه به ونعت المشبه به ؛ فالرِّعْدَة تكون من الفزع وغيره . وقد أُرْعِدَ فارتَعَدَ أَخَذته الرعدة. والارتعاد الاضطراب .و البَرَقُ بالتحريك الحَيْرة والدهَش.([2])

وتشتمل مادتا رعد وبرق على دلالات نفسية تتعلق بالمشركين الذين وردت صورتهم في المشبه . ويضاعف التنوين في (ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) السياق الدلالي لنعت المشبه به ،فكأنه قيل : فيه ظلمات داجية، ورعد قاصف، وبرق خاطف .([3]) وتفيد جملة النعت الثانية والاسمان المعطوفان بعدها في قوله تعالى: (فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) ترتيبا باعتبار الأعم الأغلب في الوجود لوجود الظلام في كل دورة؛ لأن كل يوم معه ليلة، وذكر الرعد بعده لأنه أكثر وجودا من البرق ؛ لأن البرق لا بد معه من الرعد، والرعد قد يكون معه برق وقد لا يكون، أو لأن الرعد في (الظّلمة) أشد على النفوس من الرّعد في الضوء.([4])

---

[1] . لسان العرب : مادة ظلم

[2] . لسان العرب : مادة برق , رعد

[3] . القاسمي , محمد جمال الدين : محاسن التأويل .تحقيق : عبد الباقي ,ط1, ج 1 ،1957 ,ص 259

[4] .ينظر :عرفة ,محمد بن محمد: تفسير ابن عرفة .تحقيق :جلال الأسيوطي,ط1, دار الكتب العلمية ,بيروت , لبنان,2008, ج 1 ، ص63

هذه الظلمات أفقدتهم الرؤية الصحيحة للأشياء، فلم يعودوا يميّزون بين الحق والباطل، والهدى والضلال، لأنهم عطّلوا حواسهم التي توصلهم إلى الإدراك والمعرفة وفهم حقائق الأمور، فلا رجعة لهم بعد ذلك إلى الحق ، فهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُون.([1])

إن الحركة التي " تغمر المشهد كله: من الصيّب الهاطل، إلى الظلمات والرعد والبرق، إلى الحائرين المفزعين فيه، إلى الخطوات المروعة الموجلة، التي تقف عندما يخيّم الظلام، إن هذه الحركة في المشهد لترسم عن طريق التأثر الإيحائي، حركة التيه والاضطراب والقلق والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون، بين لقائهم للمؤمنين، وعودتهم للشياطين، بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة، بين ما يطلبونه من هدى ونور، وما يفيئون إليه من ضلال وظلام، فهو مشهد حسي يرمز لحالة نفسية ويجسم صورة شعورية، وهو طرف من طريقة القرآن العجيبة في تجسيم احوال النفوس كأنها مشهد محسوس" ([2]).

وتخرج دلالة التشبيه عن التصوير الفني إلى دلالات عقائدية إذ "شبه دين الإسلام بالصيّب؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق، والمعنى: أو كمثل ذوي صيب، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا([3])".

---

[1] . ينظر :الراغب, عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص176

[2] . قطب، سيد: في ظلال القرآن. ص239

[3] . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج1، ص199

يتحقق التكامل الدلالي والتفاعل النفسي في التشبيهين المركبين في الآيات السابقة بوساطة " التجاور السياقي، والتماثل الفكري والنفسي للمنافقين. وتبرز الحالة النفسية للمنافقين مجسّمة في صورة المثل، حيّة ناطقة، تكشف عن حقائق نفوسهم المضطربة القلقة التي لا تثبت على مبدأ أو رأي. والظلمة الكثيفة تجسّم ظلمة النفوس، وتتضافر الروابط التعبيرية، والروابط التصويرية، في تعتيم الصورة، ورسم كثافة الظلام فيها، حتى تتناسق مع صورة المنافقين المظلمة.([1])

وحرصا على تمام الفائدة ينبغي أن نرصد جماليات التشبيه المركب الأول في قوله تعالى : "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ (18)" فقد شبّه سبحانه المنافقين وإظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر بمن استوقد نارا ثم انقطعت وذلك من ثلاثة أوجه:

أ- أن مستوقد النار يستضيء بنورها، وتذهب عنه وحشة الظلمة فإذا انطفأت ذهبت الاستضاءة وانتفى الانتفاع والاهتداء.

ب- أن مستوقد النار إذا لم يمدها بالوقود ذهب ضوؤها كذلك المنافق إذا لم يستدم الإيمان ذهب إيمانه.

ج- أن مستوقد النار المستضيء بها هو في ظلمة فإذا ذهبت النار بقي في ظلمتين: ظلمة الليل وظلمة نفسه ثم شبّه الدّين بالصيّب؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق

---

[1] . ينظر :الراغب ,عبد السلام أحمد : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ص176

به من تشبيه الكفار بالظلمات وما في ذلك من الوعد والوعيد بالبرق والرعد وما يصيب الكفرة من الفتن والبلايا بالصواعق. فان ذهبت الاستضاءة انتفى الانتفاع والاهتداء.([1])

الخاتمة

كشفت الدراسة عن القيمة الدلالية لنعت المشبه به اعتمادا على الدلالة الكامنة في تعريف النحاة للنعت ، تلك الدلالة التي لم تجد اهتماما كافيا في الدراسات البلاغية المعاصرة . وأضافت الدراسة أبعاد دلالية تجاوزت ما نص عليه النحاة. وأكدت أن تبعية النعت للمنعوت (المشبه به) لا تقتصر على الشروط التي اصطلح عليها النحاة ، إذ إن تبعية النعت للمنعوت ينبغي أن تتحقق بالتواصل الدلالي بينهما . ولم تعد مصطلحات النحاة المتعلقة بالنعت ، نحو الاختصاص والتحلية كافية للكشف عن الوظيفة الدلالية والجمالية للنعت .

[1] . درويش,محي الدين : إعراب القرآن وبيانه . ج 1 ، ص50

وبينت الدراسة أن التحليل الأسلوبي لتعدد النعت يتجاوز شروط تعدد النعت التي نص عليها النحاة . وحفلت الدراسة بالعلاقة التجاورية الدلالية بين النعت والمشبه به اعتماداً على المحور الأفقي في الدراسات الأسلوبية. ورصدت التواصل الدلالي بين النعت والمشبه به من حيث الكثرة والانتشار ، والدمار والهلاك وغيرهما . وكذلك رصدت الثنائيات الدلالية بين المشبه به والنعت المركب، نحو التحول من القلة إلى الكثرة، والتحول من الإجمال إلى التفصيل، والتحول من السكون إلى الحركة ،والتحول من الغموض إلى الإيضاح. وأضافت الدراسة رؤية جديدة للصورة الحسية لنعت المشبه به من حيث ضيق الصورة الحسية في النعت المفرد ، واتساعها وامتدادها في التشبيه المركب .

رصدت الدراسة أنساق العلاقات الدلالية بين المشبه به والنعت المفرد من حيث نسق التحول من حالة إلى حالة، و نسق النظام الزمني ،ونسق التواصل اللغوي بين دلالة لفظي المشبه به والنعت ودلالة أجزاء من السياق الأكبر . واحتفت الدراسة بالتواصل النفسي بين نعت المشبه به والسياق العام . ورصدت التقارب الدلالي بين مكونات السياق الأكبر للآيات والسياق الأصغر لنعت المشبه به من حيث دلالة الحركة والتتابع، و الدلالة الصوتية الإيقاعية ، والعلاقة التكاملية بين نعت المشبه به والإعجاز العلمي في عدد من الآيات.

حللت الدراسة العلاقة الدلالية بين المشبه به والنعت المركب ، وبينت أن العلاقة العضوية التكاملية بين المشبه به والنعت تتسم بالتنامي والامتداد التدريجي فيتشكل أفق تخيلي في صورة المشبه به يمكن تسميته بالأفق التخيلي التصاعدي. وتخرج العلاقة بين

المشبه به والنعت الفضاء الفني والأفق الدلالي إلى دلالات عقائدية تسهم في تعزيز منظومة القيم التربوية والسلوكية.

وتأسيسا على ما تقدم توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

أولاً: تحفز ظاهرة الثنائيات في نعت المشبه به المتلقي لإدراك الأسرار النفسية والفكرية والفنية التي يختزلها النص القرآني .

ثانياً: قدمت الدراسة رؤية جديدة في بيان الصورة الحسية الضيقة حينما يكون النعت مفردا ، والصورة الحسية المتسعة حينما يكون النعت مركبا.

ثالثاً: تسهم الدراسة في الكشف عن التواصل الدلالي بين النعت والمشبه به , فلا يستقيم معنى المشبه به دون النعت في عدد من الآيات.

رابعاً: تعزز الدراسة التوافق بين البنية المعجمية للنعت والسياق الدلالي للتشبيه .

خامساً: حللت الدراسة أنساق العلاقات الدلالية بين المشبه به والنعت المفرد.

سادساً: تنبه الدراسة إلى ربط السياق الأصغر بالسياق الأكبر ؛ لأن الآية الواحدة جزء من منظومة دلالية متكاملة تتحقق بالآيات المجاورة للمشبه به والنعت.

سابعاً: تؤكد الدراسة أن لنعت المشبه به تأثيرا نفسيا على المتلقي، فيضاعف اليقظة ويعمق الإحساس تجاه المعنى، وينقل المتلقي إلى مستوى دلالي تتعالق فيه الدلالة مع مشاعر المتلقي في صورة تخيلية.

ثامناً: توصلت الدراسة إلى أن الأبعاد الدلالية لنعت المشبه به لا تقف على الصورة الحسية فقط أو ربط السياق الأصغر بالسياق الأكبر بل يتجاوز ذلك إلى التأثير النفسي والوجداني لدى المتلقي الذي يتبنه إلى قدرة الله عز وجل ويستشعر عظمته فصورة القمر تثير في النفس المشاعر نفسها التي يثيرها العرجون القديم مثلاً.

تاسعاً: : بينت أن العلاقة العضوية التكاملية بين المشبه به والنعت المركب تتسم بالتنامي والامتداد التدريجي.

عاشراً: يؤدي سياق النص وسياق الموقف دوراً رئيساً في الدلالة, والنعت يزيد التصوير والتشبيه وضوحاً.

التوصيات:

1-ينبغي عدم الاكتفاء بالنص النحوي المتعلق بالنعت للكشف عن الجوانب الدلالية والجمالية.

2-الاهتمام بتدبر آيات القرآن الكريم وفق منهج علمي يمنح المتلقي مهارات الربط بين البنية المعجمية اللغوية والسياق الدلالي للقرآن الكريم .

3-توجيه عناية الباحثين إلى دراسة القرآن بالجمع بين النحو والبلاغة.

4- دعوة مؤلفي المناهج المدرسية للاهتمام بالدراسات السياقية للقرآن الكريم.

5- دعوة إدارة جامعة القدس المفتوحة للمبادرة في تأسيس مركز للدراسات القرآنية بهدف تعزيز الفكر التنويري الديني اعتمادا على رؤى مبتكرة في بلاغة القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

1- ابن الأثير ، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق : الشيخ كامل محمد عويضة . ط 1 ، دار الكتب العلمية, 1998.

2- الأحمدي، فهد عامر :كيف عبر موسى خليج السويس، جريدة الرياض، الخميس 5 ربيع الأول 1426هـ- 14 إبريل 2005م، العدد 13443.

3- الأستراباذي، رضي الدين: شرح الرضي على الكافية. تحقيق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، طهران، 1975.

4- الأصبهاني، أبو الحسن: شرح اللمع في النحو لأبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق: محمد خليل مراد الحربي. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

5_ الأصفهاني ، الراغب : تفسير الراغب الأصفهاني .تحقيق : د. محمد عبد العزيز بسيوني. جامعة طنطا ، كلية الآداب . 1999

6- الآلوسي ، شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق : علي عبد الباري عطية ، ط 1 ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1415 هـ ،

7- ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد: شرح المقدمة المحسبة. تحقيق: خالد عبد الكريم، ط1، المطبعة العصرية، الكويت، 1977م.

8- الباقلاني,محمد بن طيب أبو بكر:إعجاز القرآن.تحقيق:السيد احمد صقر.ط5, دار المعارف,القاهرة ,1954.

9-ابن أبو بكر الأزهري: خالد بن عبد الله ، شرح الأزهرية . المطبعة الكبرى ببولاق ، القاهرة , 2018م.

10-الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة . محمود محمد شاكر , دار المدني، جدة, 1991م.

11- جزولي، أحزمي سامعون، الحياة في القرآن الكريم دراسة موضوعية. ط1 ، دار طويق، الرياض، 1997.

12- جعفر, بن قدامة :نقد الشعر. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط1 ، دار الكتب العامة بيروت-لبنان , 1302.

13- الجيوسي,عبد الله محمد: التعبير القرآني والدلالة النفسية.ط1,دار النفائس ,الأردن ,عمان, 2006

14- حسين، عبد القادر: القرآن والصورة البيانية.ط2 ، عالم الكتب ، بيروت، 1985.

15 - حسن ، عباس : النحو الوافي . ط 15 ،دار المعارف، القاهرة،1960.

16- حجازي، علي سعيد علي، التوحيد للسالك للنجاة من المهالك، دار الكتب العلمية، بيروت, 2020 .

17- ابن حجة الحموي، تقي الدين: خزانة الأدب وغاية الأرب. ط1, دار الهلال، بيروت، شرح عصام شعيتو، 1987م.

18- حمّور، عرفان محمد: المواسم وحساب الزمن عند العرب قبل الإسلام. ط1, مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، 2000م.

19- خليل، عماد محمد إبراهيم: الظواهر الكونية والطبيعية . جامعة الزقازيق ، مصر، 2006م.

20- خمري، حسين : الظاهرة الشعرية العربية الحضور والغياب. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

21- دراز ، محمد عبد الله: مدخل إلى القرآن الكريم- عرض تاريخي وتحليل مقارن. ترجمة: محمد عبد العظيم علي. مراجعة: السيد محمد بدوي، دار القلم، الكويت، 1984م.

22- درويش , محي الدين :إعراب القرآن وبيانه . ط4, دار الإرشاد للشؤون الجامعية , حمص-سوريا , 1415هـ .

23- الدعاس ، أحمد عبيد ، وزميلاه : إعراب القرآن الكريم . ط1 ، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، 1425 هـ

24- الرازي، فخر الدين ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ط1, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان , 1981م.

25- الراغب , عبد السلام : وظيفة الصورة الفنية في القرآن . ط1, دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر , حلب , 2001م.

26- الرماني، أبو الحسن: رسالتان في اللغة. تحقيق: إبراهيم السامرائي. ط1 ، دار الفكر، عمان، 1984، ج1.

27- الزجاج، أبو اسحق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: عبد الجليل عبده الشلبي. خرج أحاديثه: علي جمال الدين محمد.ط1 ، دار الحديث، القاهرة، 1994

28- الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الجيل، بيروت، 1988

29- الزمخشري، أبو القاسم جار الله: المفصل في صنعة الإعراب. تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1، 1993.

30- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3 ، دار الكتاب العربي – بيروت ، 1407 هـ.

31- السامرائي ، فاضل صالح : بلاغة الكلمة. ط2، دار عمار، عمان ، 2001.

32- السكاكي، أبو يعقوب : مفتاح العلوم. ط 2, دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , 1987م.

33- سيبويه ، عمرو بن عثمان : الكتاب . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1988.

34- الشبول، قاسم محمد سلامة: أسلوب النعت في القرآن الكريم. ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.

35- شرف، حفني محمد : إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، الكتاب الرابع، 1970.

36- الشعراوي, محمد متولي: معجزة القرآن . ط8 , مكتبة دار التراث الإسلامي,القاهرة, 1988م.

37- الشوكاني , محمد بن علي بن محمد : فتح القدير . ط1, دار الكلم الطيب دمشق.

38- الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير. ط4، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981.

39- الصوفي , ماهر أحمد : الموسوعة الكونية الكبرى. آيات الله في البحار والمحيطات والأنهار , ط1, 2007 .

40- طارق , النعمان: اللفظ والمعنى بين الأيدولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة، 2003.

41-ابن عاشور، محمد الطاهر : التحرير والتنوير . «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الدار التونسية للنشر – تونس، 1984.

42- عباس ، حسن : خصائص الحروف العربية ومعانيها. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.

43- عباس ، أمير: الإعجاز القرآني- التبيان- التكوّن- القراءة، مدخل لنظرية معرفية في نشوء الكون ونظام الكائنات. دار أسامة، عمان، 2002.

44- عباس، فضل حسن: البلاغة فنونها وافنانها. ط10 , دار الفرقان ، 2005.

45- عبد الحميد , محمد محي الدين : قطر الندى وبل الصدى , تصنيف ابن هشام , ط9, المكتبة التجارية الكبرى ,مصر,1957.

46- عبد اللطيف، محمد حماسة: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي. ط1، دار الشروق، بيروت، 2000.

47- عتيق ، عبد العزيز . علم البيان .دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت- لبنان, 1985م.

48-عتيق ، عمر : علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة . ط1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2012.

49-عتيق ، عمر : ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم (التركيب والرسم والإيقاع). ط1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2010 .

50- علوان، محمد شعبان وزميله: من بلاغة القرآن. ط2، الدار العربية، 1998.

51- عرفة , محمد بن محمد: تفسير ابن عرفة . تحقيق :جلال الأسيوطي,ط1, دار الكتب العلمية ,بيروت , لبنان, 2008 .

52- العلوي , يحيى بن حمزة : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. تحقيق : عبد الحميد هنداوي , 1995.

53- العسكري ، أبو هلال : الفروق في اللغة . تحقيق : محمد إبراهيم سليم . دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، ب . ت .

54- ابن عصفور، علي بن مؤمن: المقرب. ط1، 1972م.

55- ابن علي الصبان الشافعي، أبو العرفان: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، 1997.

56- الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين. ط1،كتاب أسرار الزكاة، الكتاب 5، دار ابن حزم، بيروت، 2005.

57- أبو الفداء , إسماعيل حقي: روح البيان. دار الفكر، بيروت , 1330هـ.

58- القاسمي , محمد جمال الدين : محاسن التأويل . تحقيق : عبد الباقي ,ط1957،1 .

59- ابن قتيبة ,محمد عبد الله مسلم . تأويل مشكل القرآن .تحقيق :إبراهيم شمس الدين . دار الكتب العلمية بيروت _لبنان, 2012م .

60- القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد : الجامع ألحكام القرآن . ط2 ، دار الكتب المصرية ،القاهرة ، 1964م .

61_ قطب , سيد : التصوير الفني في القرآن الكريم . ط4,دار الشروق , 1978

62- قطب ، سيد : في ظلال القران الكريم .ط9, بيروت: دار الشروق , 1980 .

63- ابن قيم الجوزية، ، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1981.

64- الكحيل، عبد الدائم: ظواهر كونية بين العلم والإيمان. ط1، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، 2008.

65- الكفوي ، أبو البقاء : الكليات . تحقيق : عدنان درويش –و محمد المصري .مؤسسة الرسالة ، بيروت،1998م.

66- لحمادي، فطومة: السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي. جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)، 2008.

67- الماتريدي ،محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور :تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة. تحقيق مجدي باسلوم . ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2005.

68- محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم- عرض تاريخي وتحليل مقارن. ترجمة: محمد عبد العظيم علي. مراجعة: السيد محمد بدوي، دار القلم، الكويت، 1984م.

69- محمود: المثنى عبد الفتاح : نظرية السياق القرآني . ط1, دار وائل للنشر , عمان , 2008

70- المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب. ط5, الدار العربية للكتاب, د ت.

71- ابن منظور , أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب . ط6, دار المعارف , بيروت , 1997.

72- الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق، ط2، 1992.

73-النجار, زغلول راغب محمد :الحيوان في القرآن الكريم . ط1, دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت: لبنان, 2005م.

74- النجار ، زغلول راغب محمد: من آيات الإعجاز العلمي : السماء في القرآن الكريم . ط1, الدار المعرفة للنشر والطباعة والتوزيع -بيروت , لبنان , 2005م.

75- نصار، عبد الحليم بن محمد: صفة الجنة في القرآن الكريم. ط1، دار العلوم والحكم، سوريا، ، 2005م.

76- الهروي، أبي منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد الرحمن مخيمر. ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت, 2001م.

77- ابن هشام، أبو محمد: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. منشورات المكتبة العصرية، بيروت, 2003م .

78- هلال، أحمد هنداوي: أدوات التشبيه في لسان العرب لابن منظور. مكتبة وهبة للطباعة والنشر , 2003م.

79- ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري . تقديم : إميل بديع يعقوب . ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2001.

الرسائل الجامعية :

1- خضر، قاسم توفيق قاسم، شخصية فرعون في القرآن، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، إشراف الدكتور: محسن الخالدي، 2003م.

2- الرحيلي، مريم وصل الله صامل، أثر السياق في توجيه المعنى، رسالة دكتوراة، جامعة طيبة، السعودية، إشراف الدكتور: ناجح عبد الحافظ مبروك عبيد، 2010.

3- الزعبي ,خالد موسى حسين:صورة الجحيم في القرآن الكريم .رسالة ماجستير , اشراف :حسين كتانة .جامعة آل البيت ,2005.

4- السبيعي , مها عبد الرحمن : ظاهرة تعدد الوظيفة النحوية في التركيب اللغوي (الخبر- الحال – النعت) . رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: محيي الدين محسّب، جامعة الملك سعود، السعودية، 1429هـ.

5- عياد، محمود فضل محمود، السموات والأرض بين الفهم الإسلامي والعلم الحديث، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، إشراف أ.د. محمود يوسف الشوبكي وزميله، 2014.

6- قاسم، محمد محمود صالح: التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم. رسالة دكتوراة، إشراف الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي، جامعة اليرموك، 2002.

7- لقمة، محمد محمد، الجوانب الأدبية والبلاغية في القصة القرآنية، رسالة دكتوراة، جامعة الأزهر، 1968.

المجلات والدوريات

1- الأمين، آمال السيد محمد، أنواع السياق في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية، مجلة جامعة الناصر، ع7، جامعة الملك خالد – السعودية, 2016.

2- الجنابي، سيروان عبد الزهرة وزميله : جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية النص القرآني أنموذجاً. العدد9، 2008، جامعة الكوفة.

3- جيني,عبد الحكيم أحمد:التشبيه القرآني ودوره في تصوير حال الكافرين.العدد6,جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

4-خضر , السيد علي : التركيب النعتي في العربية . دراسة في القرآن والشعر , مجلة كلية الآداب , جامعة المنصورة , ع 27, 2000م.

5- صبرة ، محمد عويس جمعة : دور النعت في تماسك النص القرآني . مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية .السنة السابعة ، ع 14 .

6- العامري، خليل خلف بشير، السياق وأنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، جامعة البصرة، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد9، العدد2، 2010.

7 – عباس، نبراس جلال، التشبيه في النص القرآني، مجلة كلية الآداب، العدد104، جامعة ديالي.

8- عبد الكريم، مهدي قيس: "منهج القرآن الكريم في الرد على منكري البعث". مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ع 17 ، جامعة كويا، أربيل.

9- عتيق، عمر : الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية . مجلة المنارة \ جامعة آل البيت(الأردن) ، م 16 ، ع 3 ، 2010.

موسوعات

1- موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات، المجلد الأول، الهيئة العامة لإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

المواقع الالكترونية :

1- الخطيب,عدنان حسن : البيان. مجلة البيان الالكترونية العدد18-يوليو 2014

www.albayan.ae/supplements/ramad

فهرس المحتويات

المقدمة	1
التمهيد	7
الفصل الأول :النعت والمشبه به عند النحاة والبلاغين	20

المبحث الأول : النعت بين القاعدة النحوية والرؤية البلاغية	21
المبحث الثاني : التواصل الدلالي بين النعت والمشبه به	38
الفصل الثاني : النعت المفرد للمشبه به	59
المبحث الأول : نعت الظواهر الكونية	60
المبحث الثاني : نعت مشاهد العذاب الدنيوي	76
المبحث الثالث: نعت يوم القيامة ومشاهد الجنة والنار	88
الفصل الثالث: النعت للمشبه به المركب	107
المبحث الأول : نعت الحياة الدنيا	110
المبحث الثاني : نعت أعمال المؤمنين	121
المبحث الثالث: نعت أعمال الكافرين	133
الخاتمة	154
المصادر والمراجع	157
فهرس المحتويات	172